القاشاني

وفن صناعة الخزف



أحمد المفتي





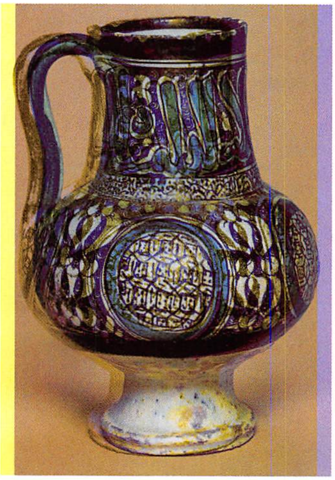
دار دمشق للنشر والتوزيع والطباعة





القاشاني

وفن صناعة الخزف



أحمد المفتي

القاشاني

وفن صناعة الخزف

دراسة تاريخية فنية علمية

دار دمشق للنشر والتوزيع والطباعة
دار دمشق



الطبعة الأولى

٢٠٠٣ م

الكتاب: القاشاني وفن صناعة الخزف

تأليف: أحمد المفتي

التحضير الطباعي: مركز الفوال للتحضير الطباعي ،
فوال وتنبكجي
هاتف: ٢٢٣٢٦١١-٢٢٣٩٧٥٥

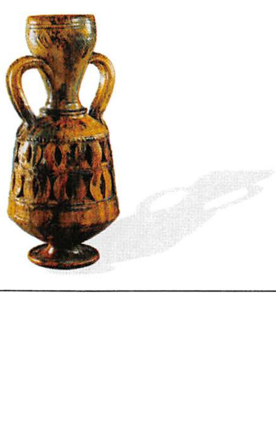
الإخراج الفني: فراس طربوش

الناشر: دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - شارع بور سعيد - هاتف: ٢٢١١٠٤٨ - ٢٢٤٨٥٩٩
فاكس: ٢٢١١٠٢٢- ✉ ٥٣٧٢
E-mail: dardimashq@mail.sy

بسم الله الرحمن الرحيم

وكل شيء عنده بمقدار

صدق الله العظيم








إطلالة على التاريخ

منذ أن وجد الإنسان على هذه الأرض، أدرك التصاقه بها، وحبه لها، فتعرف على الطيّن، وعلم بأنه الأصل الذي نشأ منه.

قال تعالى:

«خلق الإنسان من صلصال كالفخار»

صدق الله العظيم

كما أنّه شكل من التراب والطين كل ما يحتاجه، فطلا جسده بمجبول التراب والماء، تحاشياً للسع الحشرات وتخفيفاً لحمأة الطقس حراً وبرداً، وذلك قبل أن يستفيد من الجلود والألياف النباتية أو النسيج، واستفاد من الطين لسكناه وبناء أكواخه، ومن ثم صنع أوانيه ومواقده، وحين لاحظ أن شيّه بالنار أكسبه صلابة ومتانة، اعتمد ذلك فكان أن أنتج الفخار، وبطلائه بخلائط زجاجية وأكاسيد من أنواع مختلف قابلة للانصهار.. أنتج الخزف.



إن أقدم حرفة عرفها الإنسان على وجه الأرض هي حرفة الخزف وصناعته، التي تعود إلى القرن السابع قبل الميلاد، فقد دلت الاكتشافات الأثرية المبكرة على ذلك بعد أن أصبح في يديها بعض النماذج الخزفية وهي على صورة أشخاص وحيوانات وأدوات منزلية. وقد استخدمت عجلات الخزاف في آسيا الصغرى، وعرف المصريون أول العجلات التي تدار بالأقدام، وظهرت صناعة الخزف في بلاد الشام منذ القرن السادس قبل الميلاد، وكانت مركزاً هاماً لصناعته.







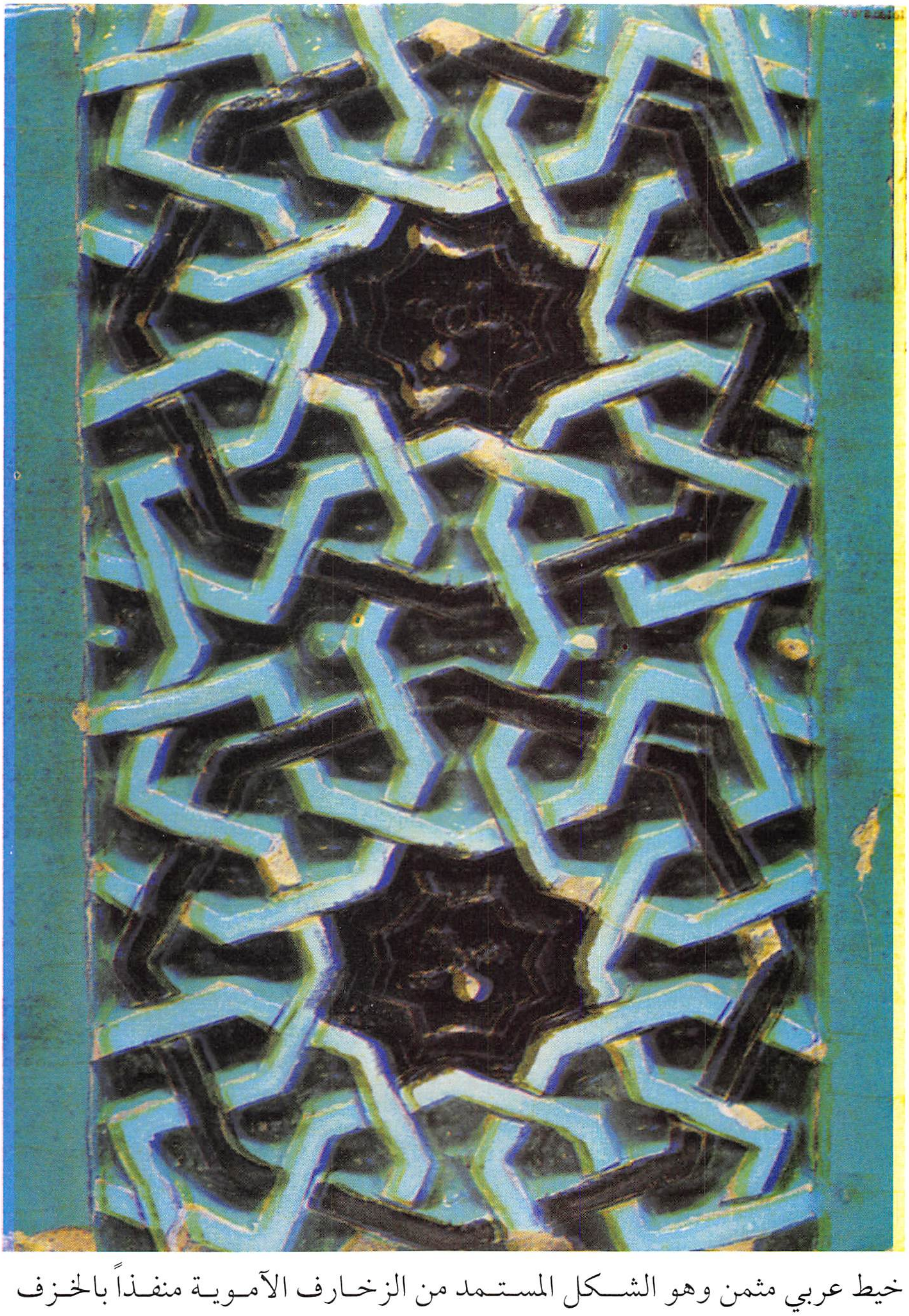
أواني خزفية من
العصر العباسي
في المتحف
الوطني بدمشق -
فخاريات من الرقة

لقد ترسبت المحيطات في الشرق الأدنى منذ القرن السابع قبل الميلاد، واكتشفت آثار الخزف المعروف في فلسطين، ودلت على هذه الصناعة المتطورة إذ قام الخزاف في ذلك الزمن بوضع البللور الصخري على سطح أواني الخزف دون أن تزيد هذه العملية من ثخانة السطح الخارجي وتجعله قابلاً لاحتواء الماء فحسب، بل تعطيه سطحاً أملس ناعماً، وتكسبه لمعاناً وبريقاً. وهكذا فإن آسيا كانت المكان الهام لصناعة الخزف، وفي القرن الخامس قبل الميلاد عرفت بنتاجها الجميل الذي يتمثل بالتماثيل والأواني، وكانت إيران ولأنها على طريق الحرير المركز التجاري الأهم في هذه المنطقة.

وفي القرن الرابع قبل الميلاد ظهرت الصحون والأكواب والقوارير المتنوعة، كما ظهرت نماذج هندسية، واستخدمت الزخرفة عليها بألوان حمراء وزرقاء وخضراء، والنماذج الموجودة في متحف اللوفر تدل على حضارة متطورة وهناك لوح كتابي مزجج يعود للقرن الثالث قبل الميلاد وهو من أقدم آثار الكتابة.



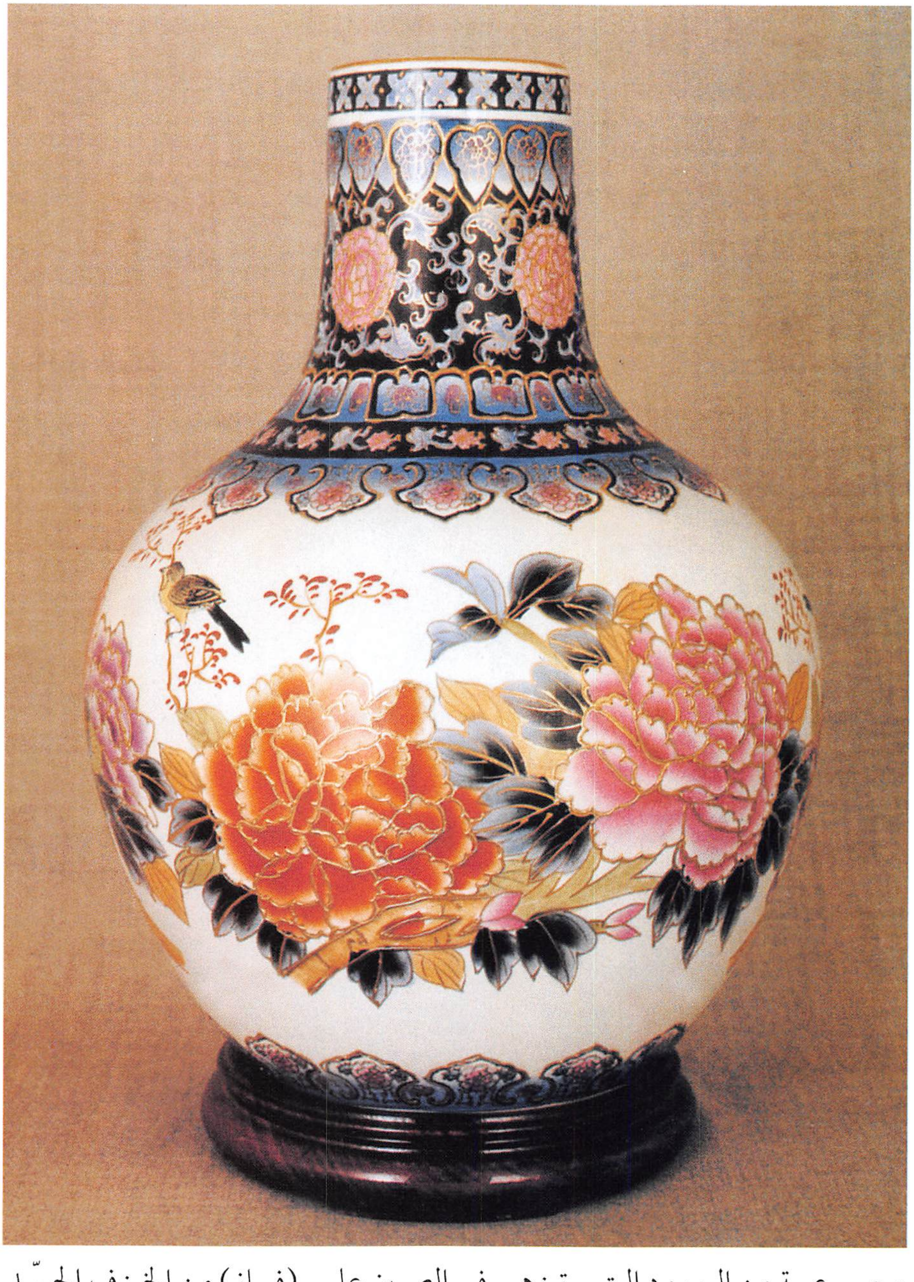




خيط عربي مثمن وهو الشكل المستمد من الزخارف الآموية منفذاً بالخزف

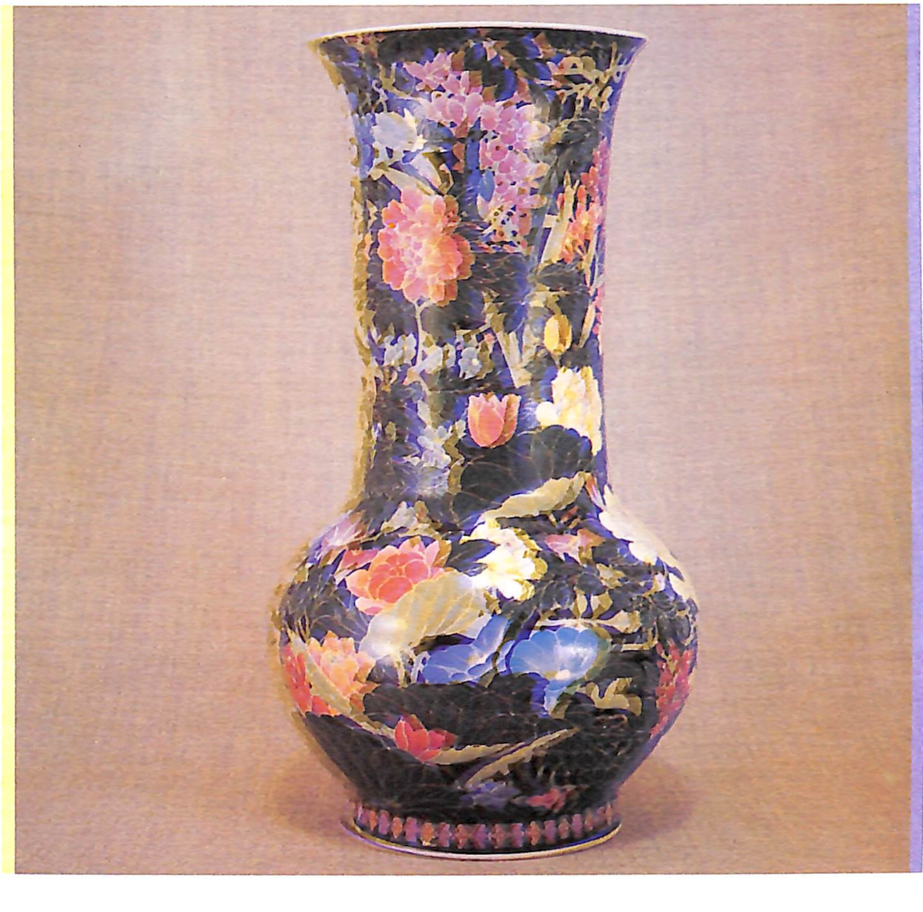
إن إبداع صناعة الخزف في الصين كان له أكبر الأثر في تقدم هذه الصناعة والحرفة. وهو مشهور بجماله، وقد أبدع الخزافون الصينيون حين اهتدوا إلى «سيليكات الألمنيوم» في عهد أسرة سانغ قبل ٥٣٠٠ سنة، وظل تطوره حتى حلول المرحلة المبكرة لإنتاج الخزف في أسرة هان الشرقية «٢٥-٢٢٠م» حين بدأت صناعة الخزف المزجج تتطور في عهود أسرة «وي» و«جين» والأسرة الشمالية والجنوبية «٢٢٠-٨٠٩م» وكانت الزخارف على الخزفيات تتأثر بالدين البوزي، فكثرت أزهار اللوتس حينذاك.





مجموعة من الورود التي تزهر في الصين على (فاز) من الخزف الجيّد

كانت أسرة تانغ «٦١٨-٩٠٨م أكثر الأسر التاريخية ازدهاراً من حيث العلوم والثقافة ووفرة المنتجات، وقد استخدام باحثو تاريخ الفخاريات والخزفيات عبارة «سيليكات الجنوب» «خزفيات فرن يويه» وعبارة «خزفيات الشمال البيضاء» و«خزفيات فرن شينغ» لوصف منجزات الصناعة الخزفية لأسرة تانغ، وخزفيات فرن يويه يقصد بها الخزف المزجج المنتج في أفران معينة خاصة بالبلاط، وتدعى «خزفيات البلاط» أما خزفيات فن شينغ فتشير إلى الخزفيات البيضاء المنتجة في مقاطعة جنى، وتتميز بلونها الناصع البياض كأنه الثلج أو الفضة وقد طبقت شهرتها الآفاق.





عمل هندسي من تأثيرات الفن الإسلامي على أرضية هذا (الفاز)

كانت مرحلة أسرة سونغ «٩٦٠- ١٢٧٩م» من أكثر المراحل التارخية سرعة في تطور صناعة الخزف، فقد بلغ عدد المحافظات التي اكتشفت فيها الأفران القديمة لصنع الخزفيات «١٧٠» محافظة، منها «١٣٠» محافظة تملك الأفران التابعة لأسرة سونغ.

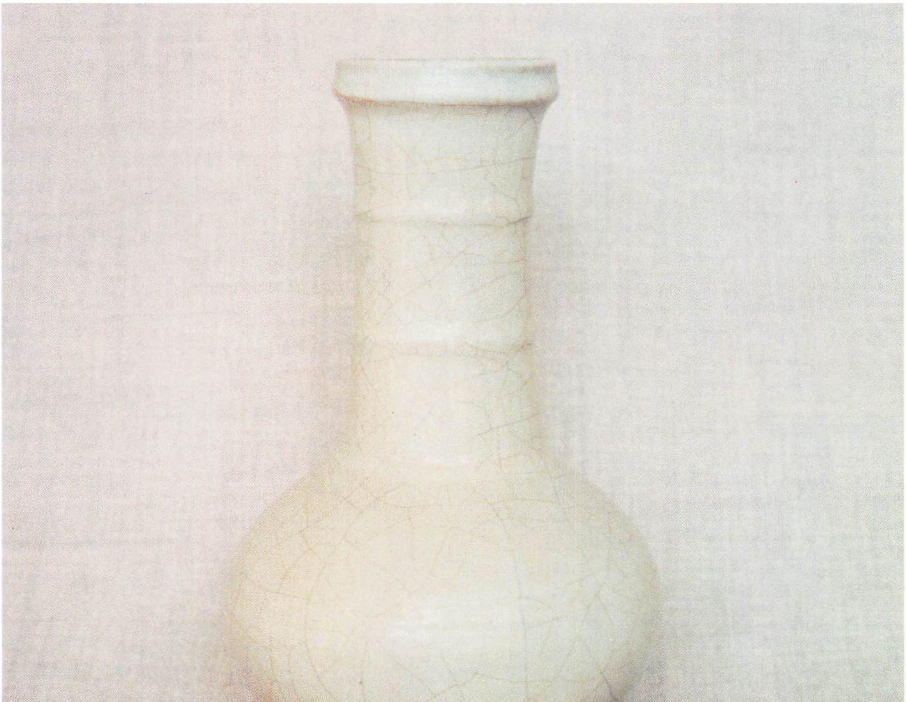
وفي عهد أسرة يوان «١٢٧١- ١٣٦٨» تم إنشاء إدارة فوليانغ للخزفيات في بلدة جينغد تشن بمقاطعة جيانفشي وأصبحت جينغد تشن تدريجياً مركزاً لصناعة الخزفيات في الصين، وقد تطور الخزف الصيني الأبيض والأزرق في أسرة يوان إلى أن بلغ الكمال.





إنـاء صيني يسـتخدم لوضـع السـوائـل الحـارة وهـو من طـراز عهد أسـرة يـوان

إن زخرفة الخزفيات باللون الأبيض واللون الأزرق، وبالألوان الخمسة، وكذلك زخرفتها الثنائية تمثل مستوى فن زخرفة الخزفيات في عهد أسرة مينغ «١٣٦٨-١٦٤٤م» وهيـاكـل خـزفـيات شيواندة البيضاء والزرقاء رفيعة ونقية، وخـطـوطـهـا الـزرقاء زاهية، ومن أمثالها زجاجة كروية مزخرفة بموجات زرقاء قاتمة، وتنانين بيضاء سابحة تنبض بالقوة والحركة على طريق اللونين المختلفين، والرسم الماهر، أما زخرفة الخزفيات بالألوان الخمسة وزخرفتها الثنائية فهي من اختراعات عهد أسرة مينغ.

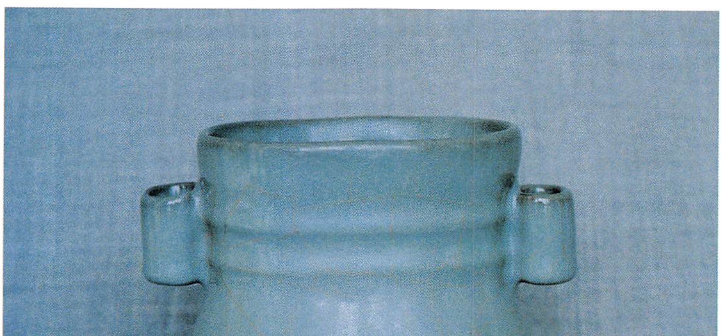




التشقق والتفسخ الذي يصيب الإناء الخزفي نتيجة إخراجه من الحرارة للبرودة

في عهد الإمبراطور كانغ شي والإمبراطور تشنغ والإمبراطور تشيان لونغ «١٦٦٢-١٧٩٥م» من أسرة تشينغ، وصل إنتاج الخزف إلى ذروته، ففي عهد الإمبراطور كانغ شي كانت ألوان الخزف الخمسة كثيفة لامعة، وكانت الرسوم عليه تحكي قصصاً تاريخية أو حوادث مثيرة، ولهذا النوع من الخزف قيمة فنية عظيمة نسبياً، وفي عهد الإمبراطور يونغ تشنغ أُنتج كوب رقيق كالورق يطير إذا نفخ فيه، أما في عهد الإمبراطور تشيان لونغ، فكانت الخزفيات مقتبسة من خزفيات كل الأفراد الشهيرة السابقة، كما اقتبست من صنع الأوعية النحاسية والخشبية التي تبهر العيون.

لقد اشتهرت صناعة الخزف الصيني وغزت أسواق أوربة، وكان الطلب على «الذهب الأبيض» كبيراً، لذا فإن حمولة السفن الأساسية من الخزف الصيني أخذت طريقها حول رأس الرجاء الصالح باتجاه أوروبة، وكان الخزف الصيني يصنع بدقة وبمواصفات عالية.

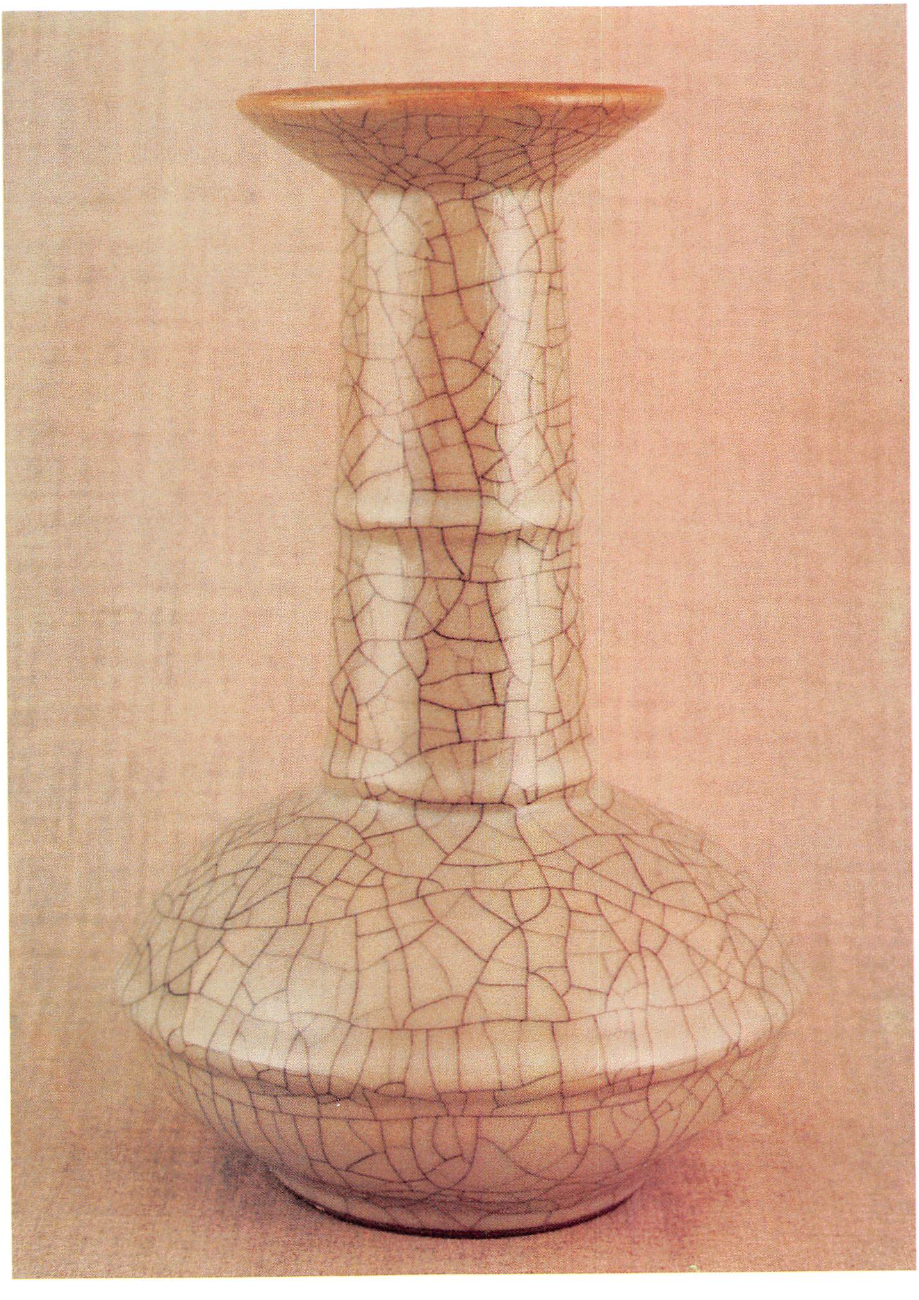




(فـــاز) من عـهـد الإمبراطـور كـانـغ شـي (١٦٦٢ م) لأسـرة تشـينـغ



من عهد الإمبراطور تشيان لونغ ويعود لأسرة تشينغ







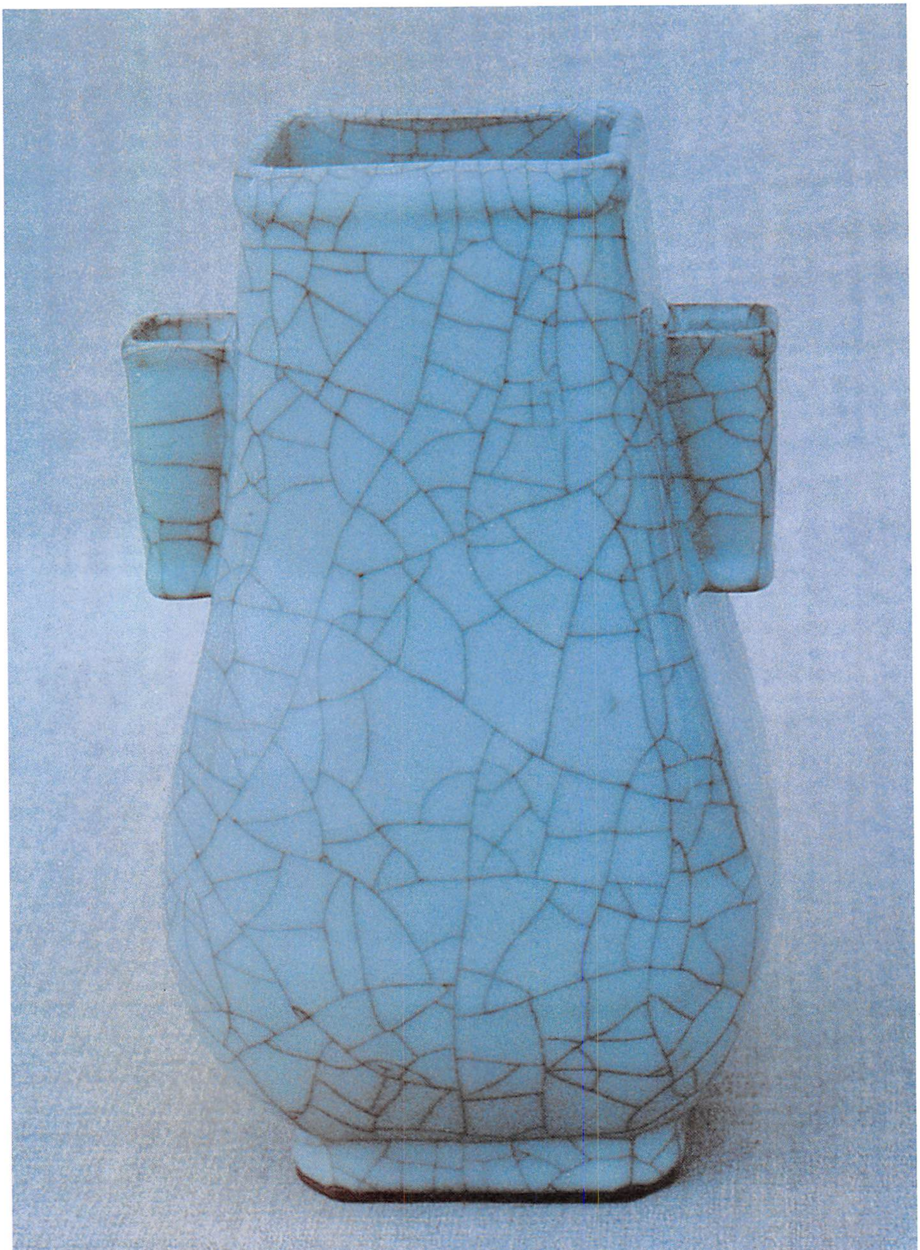


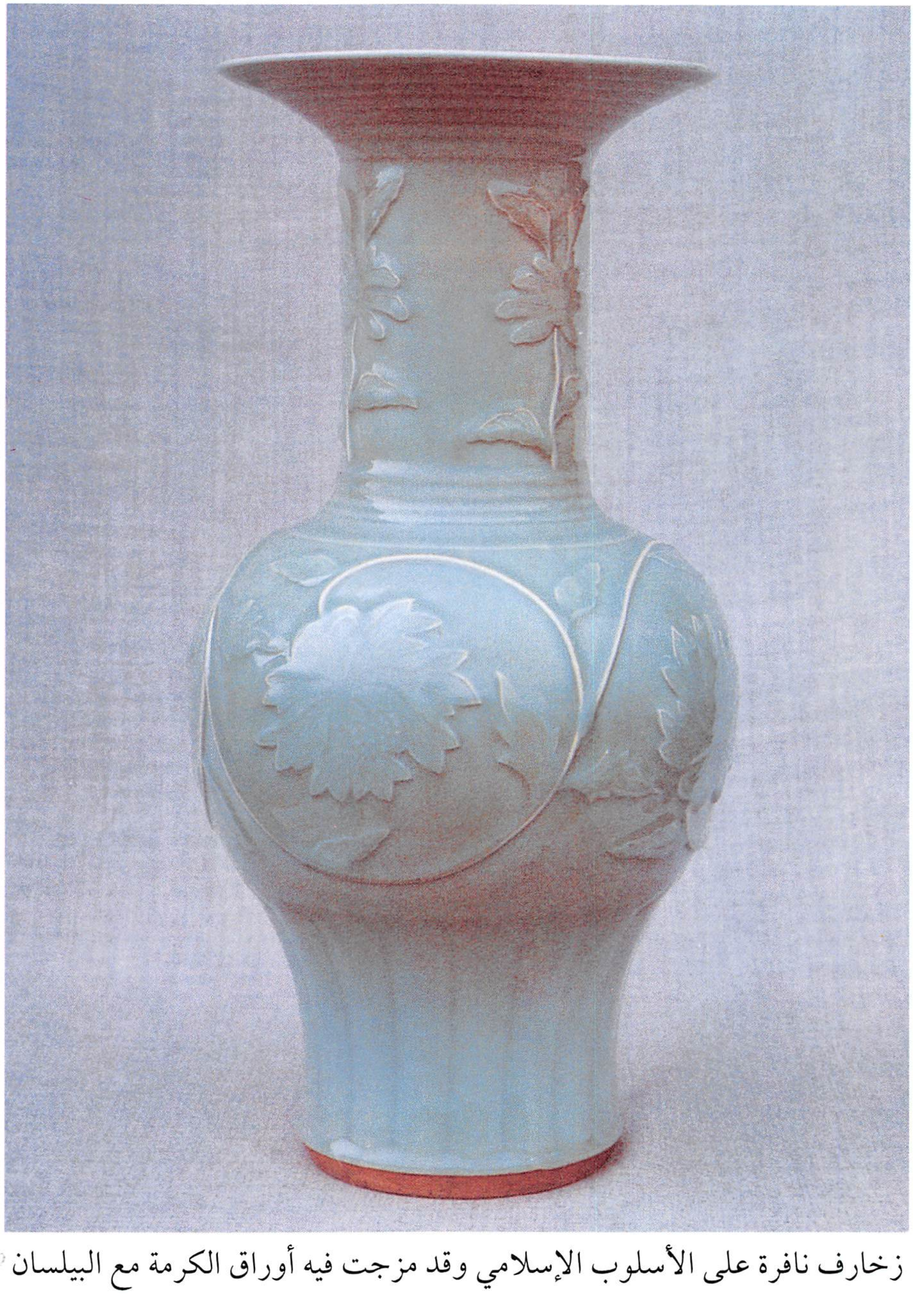


صحن من الخزف الراقي النظيف





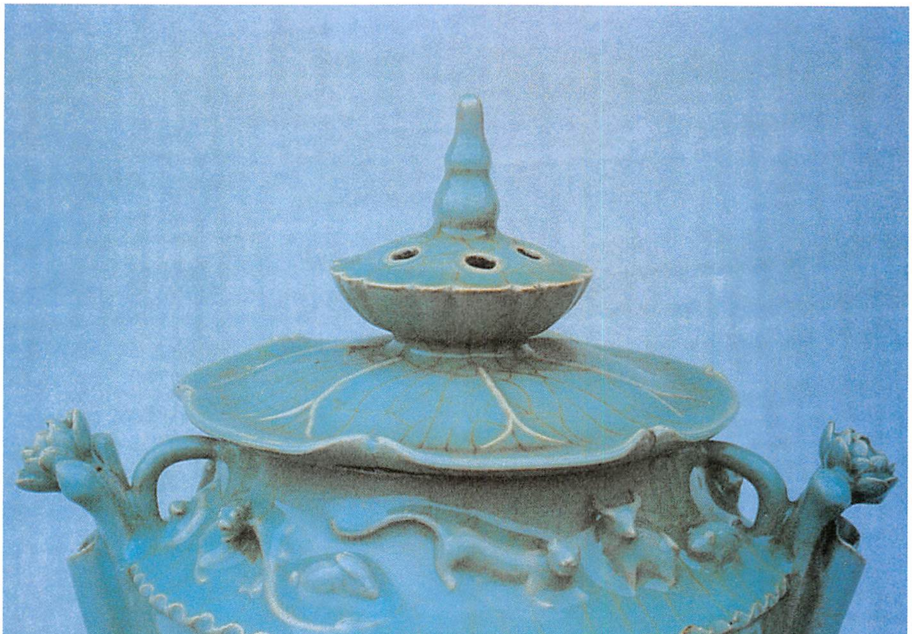




زخارف نافرة على الأسلوب الإسلامي وقد مزجت فيه أوراق الكرمة مع البيلسان







الطراز الصيني في التكوين مع تنفيذ أسلوب القالب في الضغط





الأسلوب التقليدي في صناعة تكوين (الفازات)

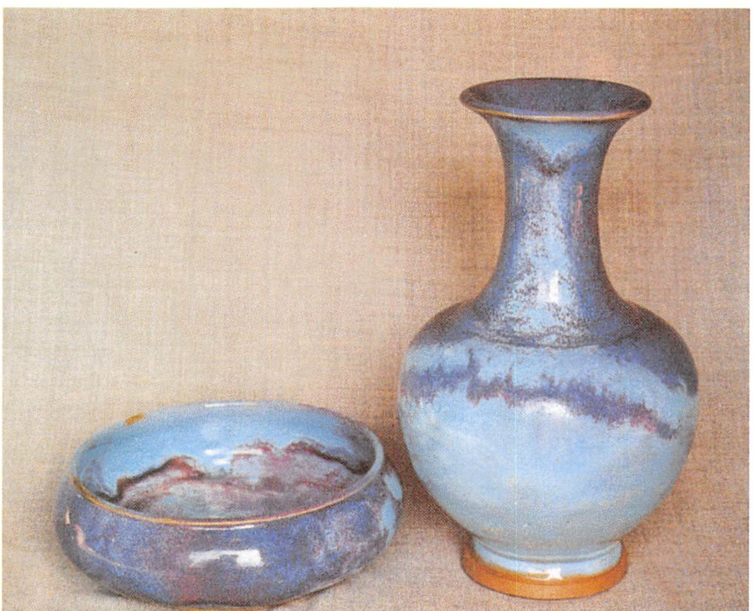


الخزف الشفاف الذي يشبه الزجاج ممايدل على حرفيّة عالية





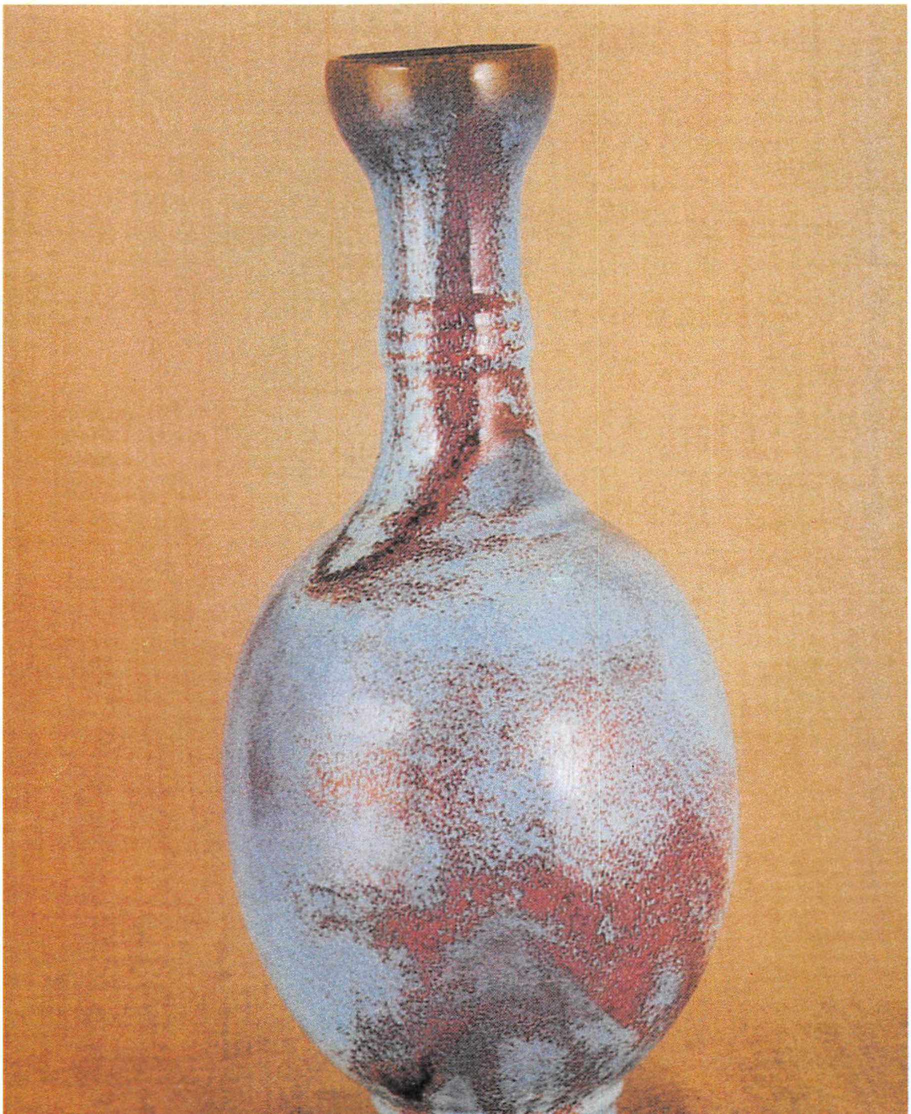


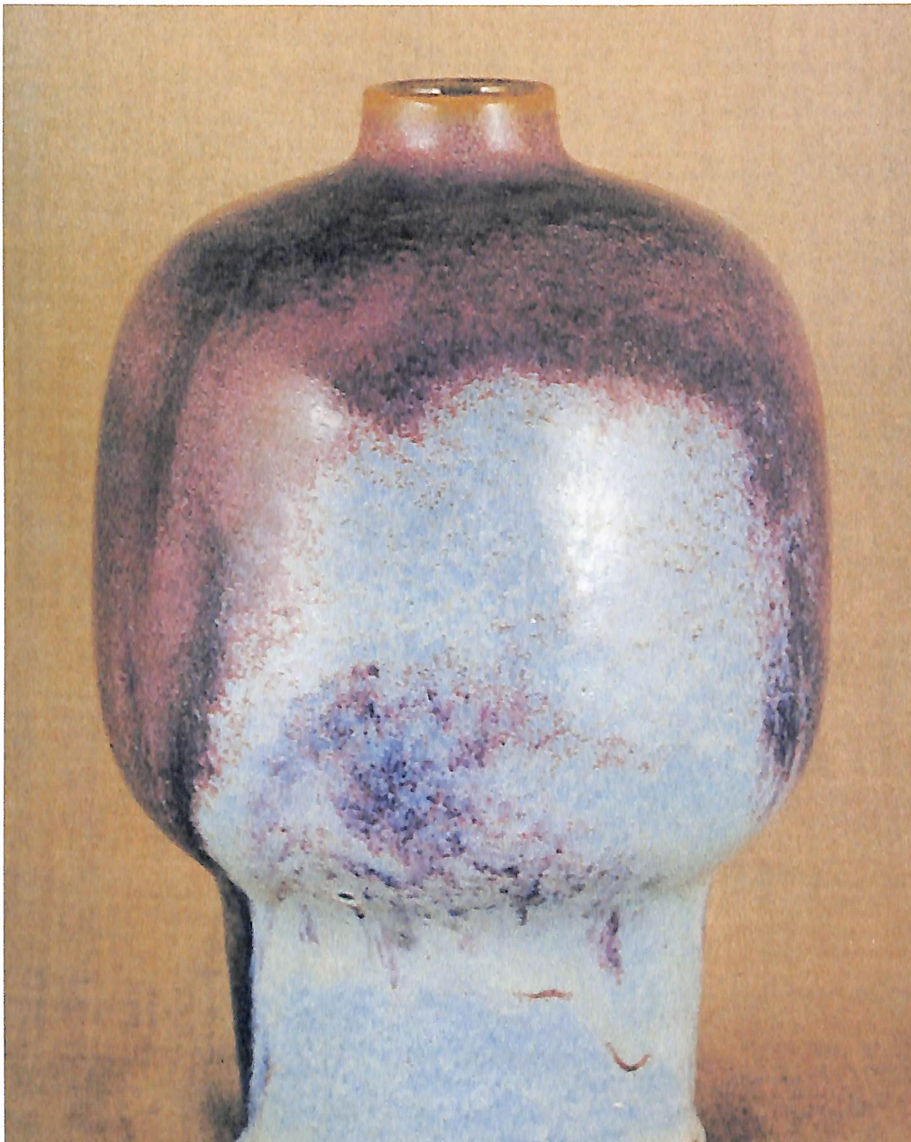


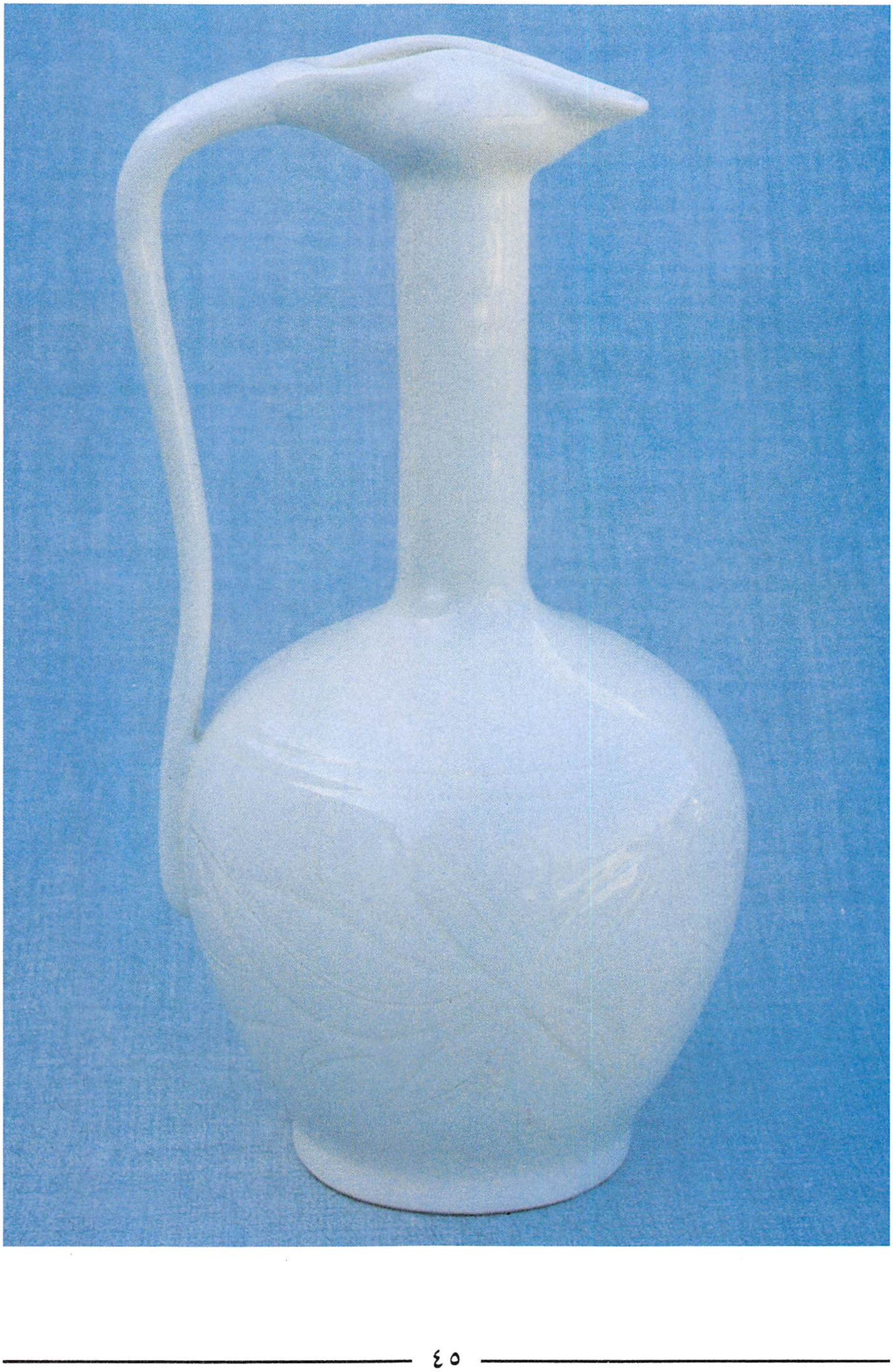




















ما قدمه المسلمون لصناعة الخزف





كان إنتاج الخزف في العالم الإسلامي عظيماً جداً، وتؤكد التحف الإسلامية التي وصلتنا عبر العصور على صحة ما نقول، ولاتزال المكتشفات الأثرية تزودنا بكميات وافرة من هذا الخزف ولقد امتاز صناع الخزف في ديار الإسلام بتنوع منتجاتهم في الأشكال وفي طريق الزخرفة وأساليب الصناعة، وكانوا مهرة بنوع خاص في طلاء الخزف بالمينا ذات الألوان المختلفة وفي صناعة لوحات من القاشاني ذات سطح براق لتكسى الجدران بها.



إنـــاء من الخـــزف ونـــلاحظ جمـال وتنـاســق الألـــوان بعد الأكــســدة
مـــع رســـم صـــورة البجعة وتكــــوينـات جـمـيلـة في الخــلـف

وكانت الأساليب الفنية في صناعة الخزف تنتشر بسرعة عظيمة في شتى أنحاء العالم الإسلامي، حتى أن المنقبين عن الآثار في مصر وإيران والعراق والشام، وشمال إفريقية والأندلس عثروا على كثير من الأنواع المشتركة في تلك الأقاليم، ولقد كانت إيران مصدراً أساسياً للكثير من الأشكال والأساليب الفنية، إلى جانب أنها كانت تتأثر بالأساليب الفنية الصينية من وقت لآخر، ولقد ظهرت كثير من القطع الخزفية أثناء التنقيبات في الفسطاط تمثل شتى أنواع الخزف الإسلامي والصيني وحوض البحر المتوسط.

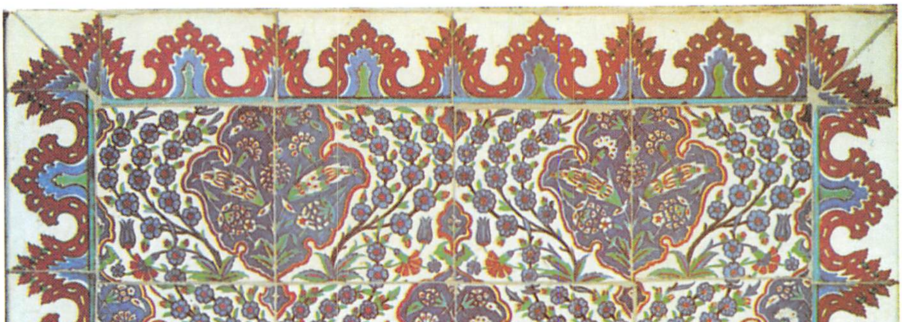








إن ما جاء المسلمون من جديد في صناعة الخزف هو صنعهم للبلاط لكسوة الجدران بأشكال مختلفة وجماليات مبهرة، كما شكلوا آلاف النماذج لتصاميم الأواني والتحف التي تضم الأكواب والسلطانيات والأباريق والفناجين والقوارير والمسارج والأقداح والكؤوس والصحون المختلفة الأشكال والأعماق، والأزياء والعلب والمباخر والشمعدانات وبيوت للطيور ومساند للأقدام وغير ذلك فضلاً عن التماثيل الصغيرة.



وقد وفّق الخزافون المسلمون في إتقان أنواع الطلاء الممتاز وابتداع الألوان الفاخرة وتنويعها، والألوان الرئيسية التي استعملها الخزاف المسلم هي اللون الأبيض العاجي، والأزرق الزرنيخي «بين الأزرق والأخضر» والأخضر الفيروزي والأحمر البفنسجي.





وأهم ما امتازت به القطع الخزفية هو البريق المعدني الذي يتناوب بين الأحمر النحاسي والأصفر الضارب للخضرة، وقد أدى انتشار الخزف إلى الاستعاضة عن الأواني الذهبية والفضية التي كره المسلمون استعمالها، ولقد حار علماء الآثار في موطن صناعتها فنسبوها تارة للعراق وأخرى لسورية وثالثة لإيران ورابعة لمصر. والحقيقة أن هذه الصناعة وجدت في جميع هذه الأقطار واكتسبت من بعضها وإن كان قد كثر التأكيد من خلال النماذج على أن أفضلها وأروجها كان من إيران.





بلاطات من القاشاني وفيه زهرة القرنفل بعد التجريد

إن البريق المعدني الذي نشاهده على الخزف الإسلامي معظمه ذهبي اللون في درجات مختلفة، إذ تنقسم النقوش ذات البريق المعدني إلى ثلاثة أقسام :

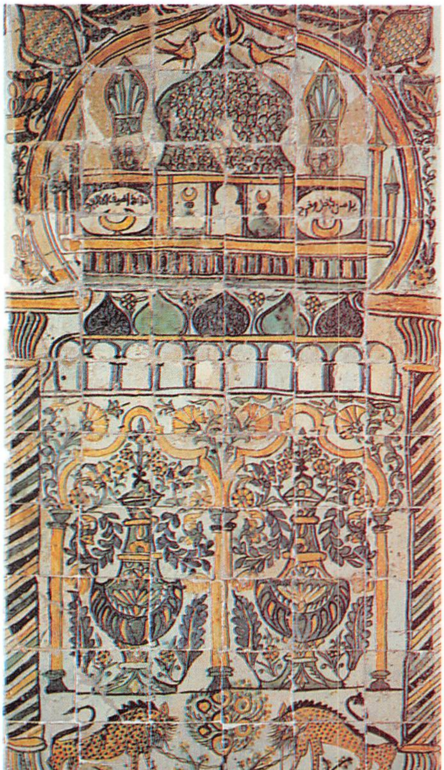
١ - نقوش ذهبية على أرضية بيضاء .

٢ - نقوش حمراء أو قرمزية على أرضية بيضاء .

٣ - نقوش متعددة الألوان : صفراء وسمراء وزيتونية على أرضية بيضاء .

إن عملية تزجيج الفخار وجعله خزفاً يحتاج إلى شّي بسيط في البدء بعد التجفيف ثم طلاؤه بالدهان أو المينا، ثم إدخاله إلى الفرن لشيه ثانية بعد أن ترسم النقوش بطبقة دقيقة من الأملاح المعدنية .

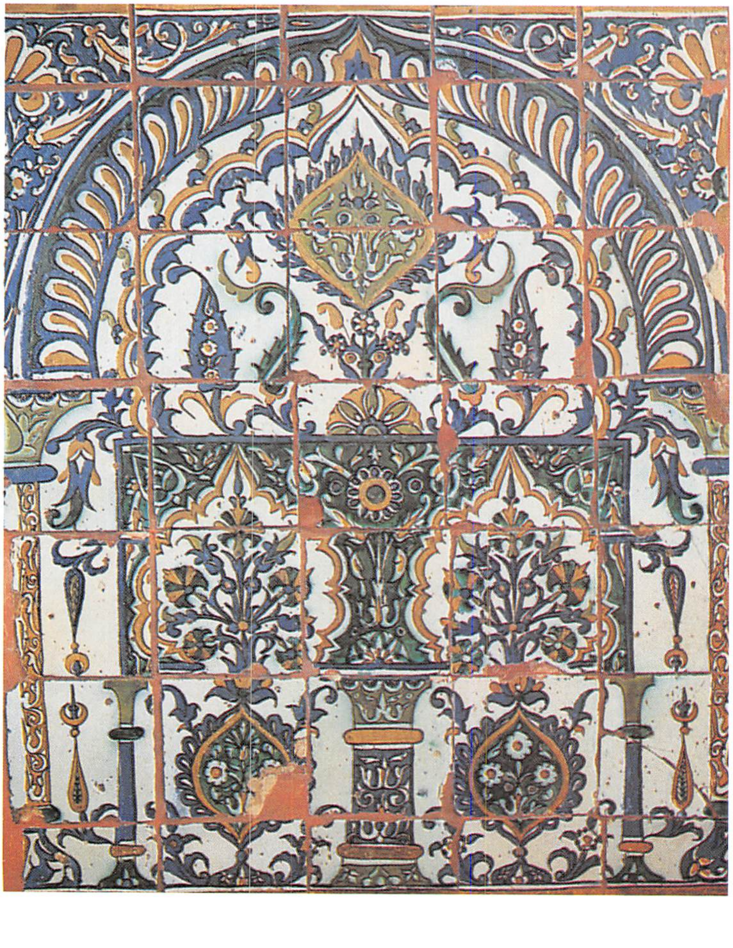






شـــجرة الحيـــاة وقــد نفذهـا الفنـــان المســـلم علـــى بــلاطــات القـــاشـــاني

انتشرت في العالم الإسلامي أساليب شتى في ابتداع الطرق للنهوض بهذه الصناعة والوصول بها إلى الإتقان، فمن رسم الطلاء بلون واحد أو بألوان متعددة إلى ضغط باليد على العجينة اللينة لتهيئة حافتها أو تكوين بعض العناصر الخزفية فيها. كما كانوا يحفرون الرسوم بطرق مختلفة وفي عمق متنوع، ويشكلون الزخارف البارزة تشكيلاً دقيقاً وجميلاً. وكانوا يخرمون جدران الأواني ويغطون الخروم بالطلاء فتبدو شفافة، وذلك كله فضلاً عن تزيين التحف بالرسوم ذات اللون الواحد أو الألوان المتعددة فوق الطلاء.





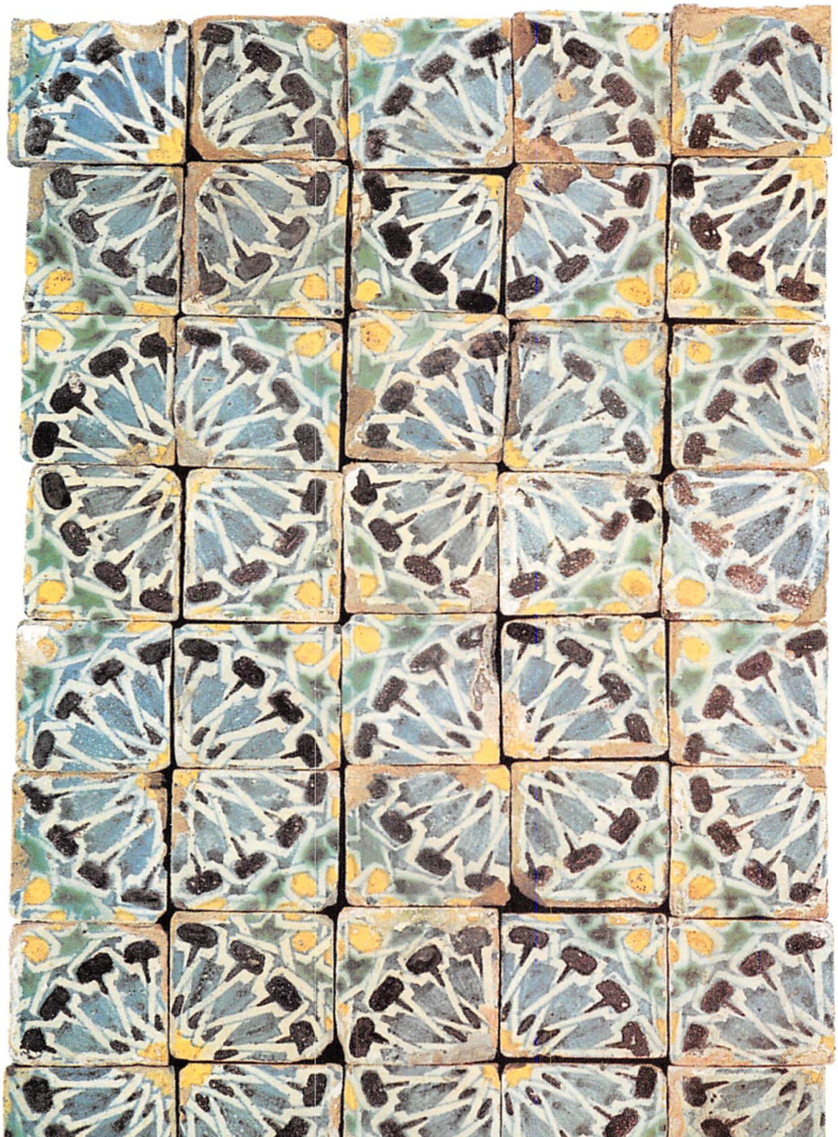
دقة العمل في صناعة بلاطات القاشاني ويخيّل للرائي أنها سجادة

لقد أقدم الخزافون المسلمون على تقليد أنواع الخزف والبورسلين الصيني ثم ابـتـعـدوا عـن ذلك وكـونـوا لـهم منهجاً وأسلوباً مغايراً حتى أثروا هم أنفسهم في الخزافين الصينيين الذين أخذوا عنهم أساليبهم وألوانهم .



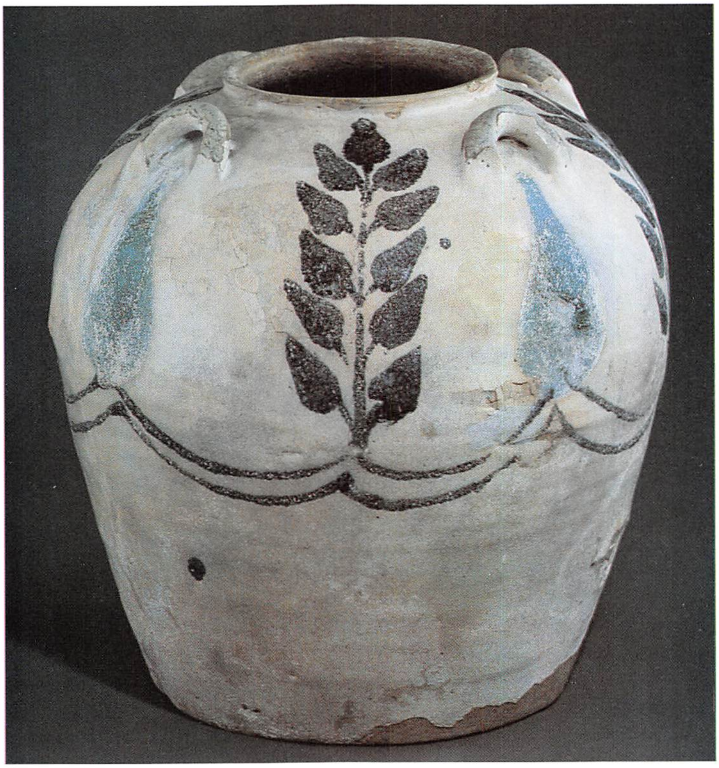


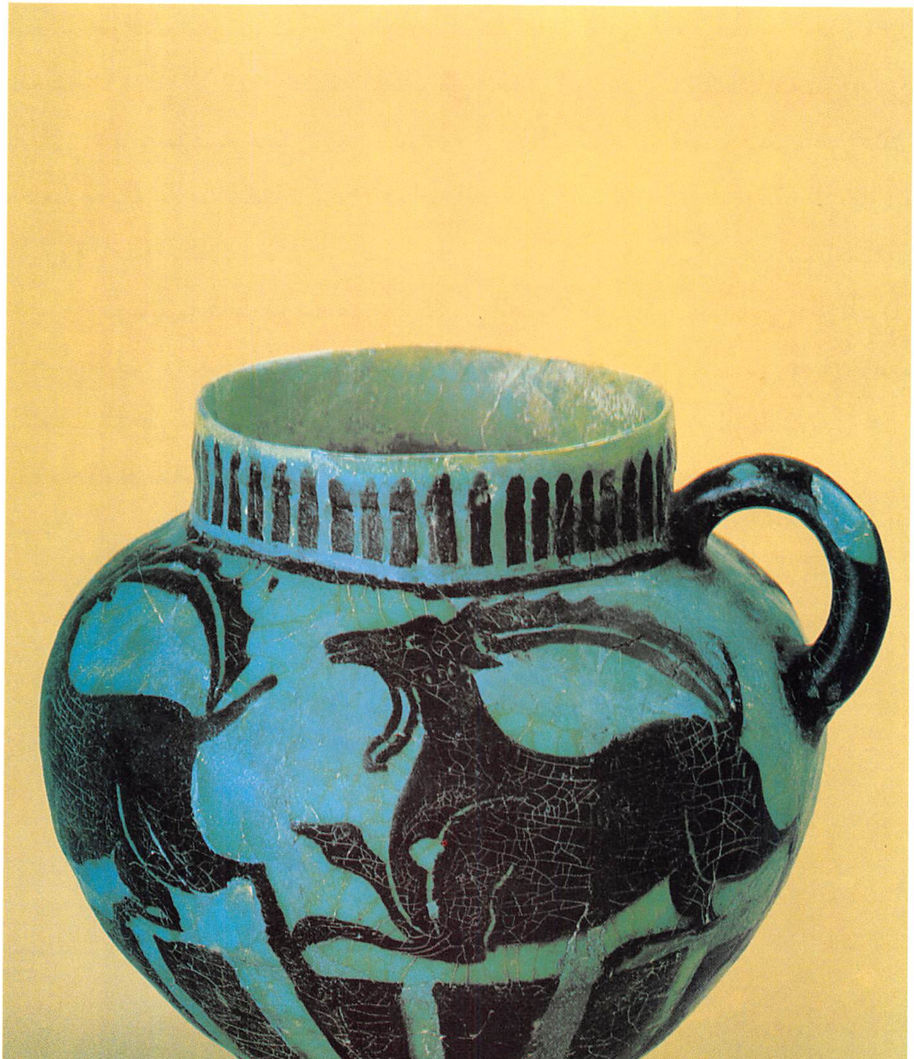
الخزف
في
العصر
العباسي



بلاطات من القاشاني بأشكال هندسية - خزف تونس

مازالت الدراسات والأبحاث والاكتشافات غامضة عن صناعة الخزف في العصر الأموي إلا أنها واضحة المعالم في العصر العباسي إذ وصلتنا مجموعة من اللقى الأثرية توضح تطور هذه الصناعة في ذلك الزمن، فقد وصلت من ذلك الزمن مجموعة من الصحون والأكواب الصغيرة ذات العجينة الناعمة والزخارف البارزة المغطاة بطلاء أخضر أو أصفر وقوام تلك الزخارف أشكال هندسية مختلفة وفروع نباتية ذات وريقات مجردة من الطبيعة من الخزف العباسي ذي البريق المعدني الذي وجد في سامراء ومنه ما وجد في مدينة الرقة شمال سورية ويحتفظ المتحف الوطني بدمشق بمجموعة من الخزف الإسلامي من صنع الرقة مما يدل على تقدم هذه الصناعة في الرقة زمن العباسيين.







أسرار صناعة الخزف الإسلامي



مجال اللون البنـي في صناعة الخـزف العباسـي وهذا إناء من نوادر صناعة الخـزف بحيث نرى أكسـدة اللون على الإناء

يصنع الخزف من الغضار اللزج الصافي، وأحسن أنواع الغضار هو «الكاؤولن» الموجود أصلاً في الصين وفي بعض الأصقاع الأوربية كبوهيميا.

أما غضار بلادنا فهو ليس بجودة الكاؤولن، لذا كان يطلى بمادة بيضاء كتيمة قبل طليه بالمينا.

يصنع الإناء ويكيّف حسب الشكل المطلوب، ثم يشوى، ثم يطلى بالمادة الكتيمة البيضاء ثم يشوى مرة أخرى، ثم يلون الإناء ويرسم عليه الزخارف، ثم يغطس بمحلول «المراد سبخ» والمراد سبخ ذرور زجاجي بالماء، ذكره القزويني في كتابه عجائب المخلوقات، وتطلق عليه العامة الآن «مرتسنغ»- ويوضع في الفرن، فتسيل المادة الزجاجية على جميع جوانب الإناء، عندئذ تحمي هذه الطبقة الزجاجية المسمّاة بالمينا الإناء، وتكسبه جمالاً ورواء.





اكتشف الإنسان المادة الزجاجية مصادفة، وذلك منذ الألف الثالث ق. م في بلاد الرافدين ومصر، وذلك حين كان يصهر الصناع فلزات النحاس، فكانت تطفو الشوائب العالقة به، وفيها بللورات السيليس ممتزجة بأوكسيد النحاس الزنجاري، وكان الصناع يرمونها دون معرفة فائدتها ولا هوية تلك المادة التي هي الزجاج. ولما رأوا تجمد هذه المادة وتبلورها بلونها الأزرق الجميل، جربوا أن يطلوا الأواني الفخارية بها عندما تكون منصهرة، فاكتشفوا بذلك صفة جديدة، وانتفعوا بذلك نفعاً عظيماً، وأخذوا يستعملونها منذ الألف الثالث قبل الميلاد في سورية ومصر وبلاد الرافدين وإيران. ولقد حذق الصناع الإيرانيون صناعة الخزف، فصنعوا الأواني والتماثيل والألواح، وشكلوا من التربيعات الصغيرة تزيينات جدارية ملونة ومشاهد بارزة في غاية الجمال.





تعلم العرب المسلمون هذه الصناعة من إيران وبيزنطة، فتقدموا تقدماً عظيماً حتى أبدعوا أنواع جديدة لم تكن موجودة قبلهم، وصنعوا من هذه المادة الأواني بمختلف أنواعها وحجومها لتلبي حاجاتهم، منها الصحون الزبادي، السلطانيات، الزهريات، الجرار، الدنان، الأباريق، الأقداح، الأكواب، السرج، القماقم، المحابر، حوامل المحابر، الألواح المربعة «القاشاني» «الزليج»، شواهد القبور وغير ذلك.

وكثر إنتاج الخزف إلى درجة عظيمة في العالم الإسلامي في القرون ٥-٩هـ ١١-١٥م حتى أن الرحالين العرب يذكرون في كتاباتهم ويتحدثون عن وفرتها ورخص ثمنها بالرغم من نفاستها وجمالها، واشتهرت بعض المدن بإنتاج نوع أو أكثر من الخزف فنسب إليها وقيل: خزف قاشاني، وخزف رقي، وخزف دمشقي، وخزف إزنيق.

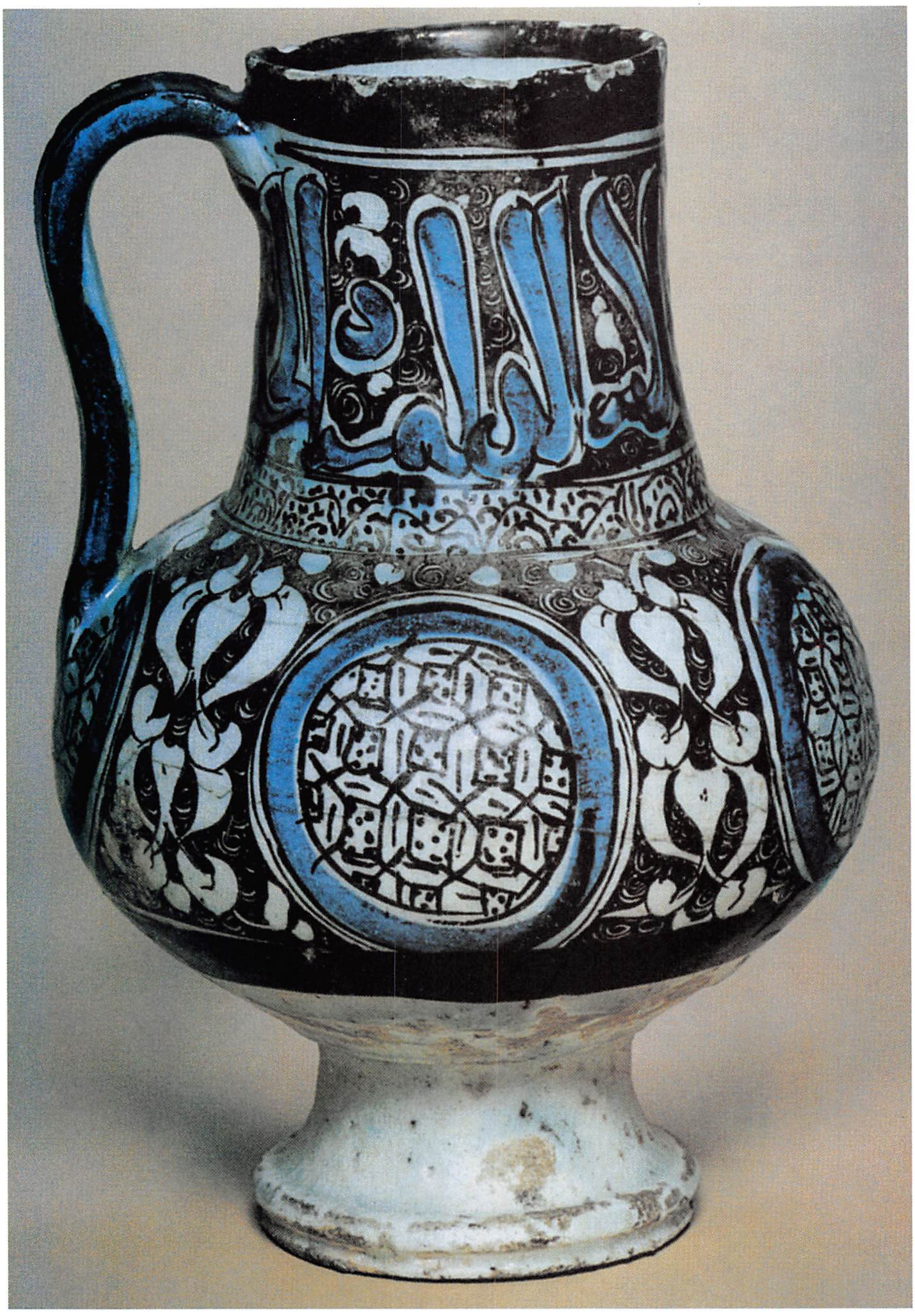




وعرفت مصر الخزف العباسي ذا البريق المعدني في العصر العباسي، وجلبت نماذج منه من العراق وأنتجت مثله، ولاسيما في عصر الدولة الطولونية، إلا أن رسوم الحيوانات على الخزف الطولوني محورة عن الطبيعة إلى حد كبير، كما أن الرسوم الآدمية ليست إلا رسوماً بدائية تحددها بصفة خطوط، والعيون فيها مستديرة أو لوزية الشكل، بينما الأنف فإننا نراه بشكل خطين عموديين متوازيين ينتيهان بدائرة تمثل الفم أو بخط صغير يرمز إليه.

ومن أنواع الخزف العباسي خزف أبيض ذو نقوش زرقاء وخضراء فوق الطلاء، وقد عثر عليه أثناء التنقيبات في حفائر سامراء والسوس والري وسامُرة وقم. وكان ينسب في البداية إلى العراق، إلا أن الراجح أنه كان يصنع في غربي إيران ولاسيما في الري، كما أن حفائر نيسابور أكدت على وجود الخزف الأبيض المنقوش بالكتابات.

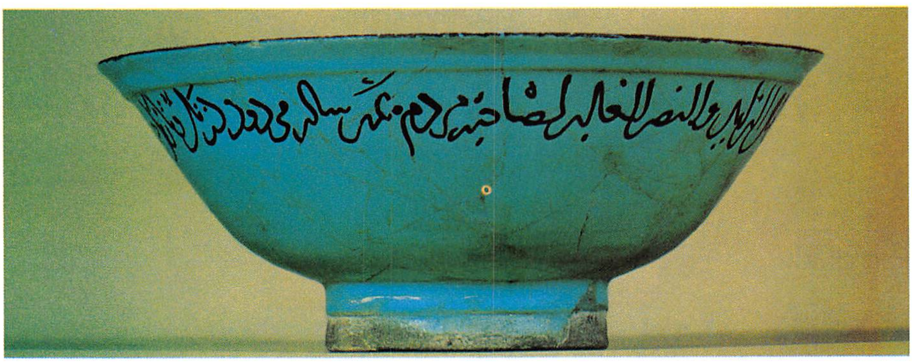


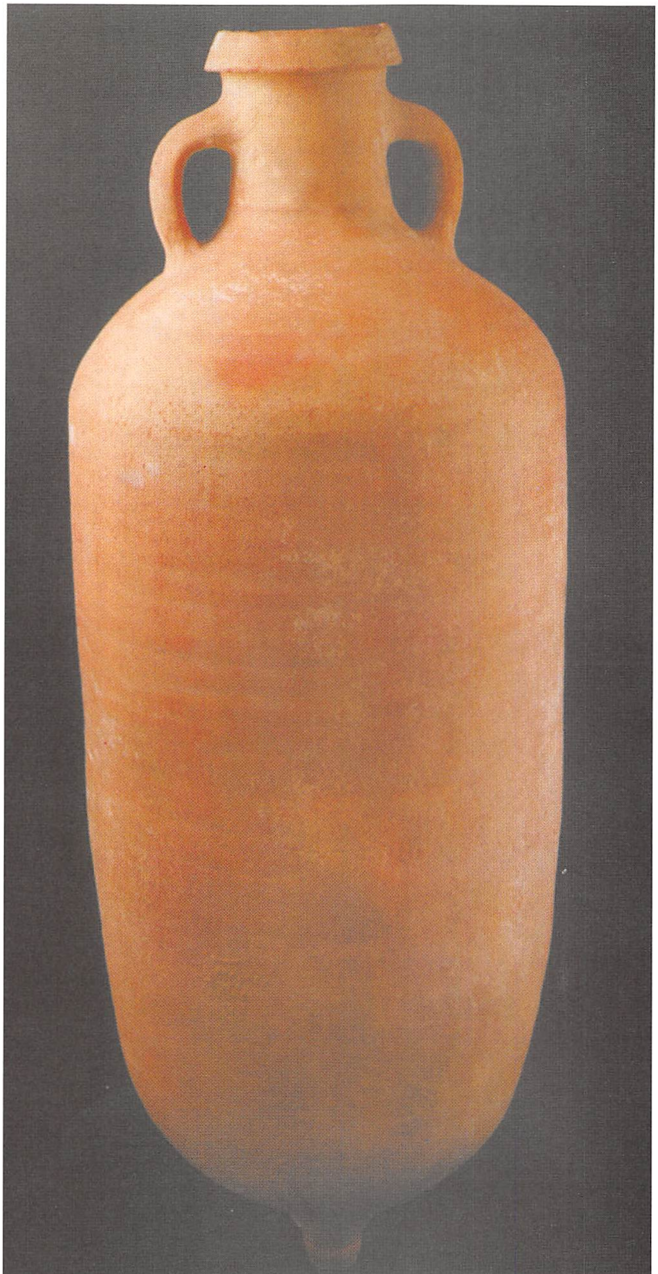




الخزف الإيراني في عصري السلاجقة والمغول

كان الحكام السلاجقة في القرنين الخامس والسادس بعد الهجرة من أعظم رعاة الفن وأدى وصولهم إلى الحكم في إيران إلى ازدهار الفنون فيها، فقد جمعوا أمهر الفنانين في بلاطهم في مرو ونيسابور، وهراة والري وأصفهان، ووصل الخزافون في عصرهم وفي عصر المغول إلى قمة المجد الصناعي، بين القرنين الخامس والثامن بعد الهجرة «١١-١٤م» فنضجت منتجاتهم وأتقنوا الأساليب الصناعية والزخرفية، وكانوا يستخدمون الزخارف المحفورة والبارزة والمخرمة والمجسمة، ويرسمون النقوش فوق الدهان أو تحته، ويحملونها بالتذهيب أو البريق المعدني. وإذا استثنيا «الصين» «البورسلين» فإنهم عرفوا في هذين العصرين كل أنواع الخزف، وصنعوا منها كل الأشكال المختلفة في الحجم المتنوع في الألوان البراقة الجميلة. وحذقوا رسم الصور الآدمية والحيوانية والنباتية، واستخدموا في رسمها مهرة المصورين والمذهبين، وفتح لهم استعمال الخزف في الزخارف المعمارية باباً جديداً زادهم مثابرة ونشاطاً وتأثروا في معظم الأحيان بالأساليب الفنية الصينية، ولكنهم ظلوا مخلصين للروح الإيرانية في الصناعة والزخرفة، وقد قضى المغول على أكبر مراكز الصناعة الخزفية في إيران، فدمرت مدينة الري سنة ٦١٧هـ «١٢٢٠م» ومدينة قاشان سنة ٦٢١هـ «١٢٢٤م» والأرجح أن صناعة الخزف لم تتأثر إلا بكمية الإنتاج، وخير دليل على ذلك بعض التحف الخزفية الجميلة وعليها تواريخ تثبت أنها صنعت بعد الغزو المغولي بزمن طويل.



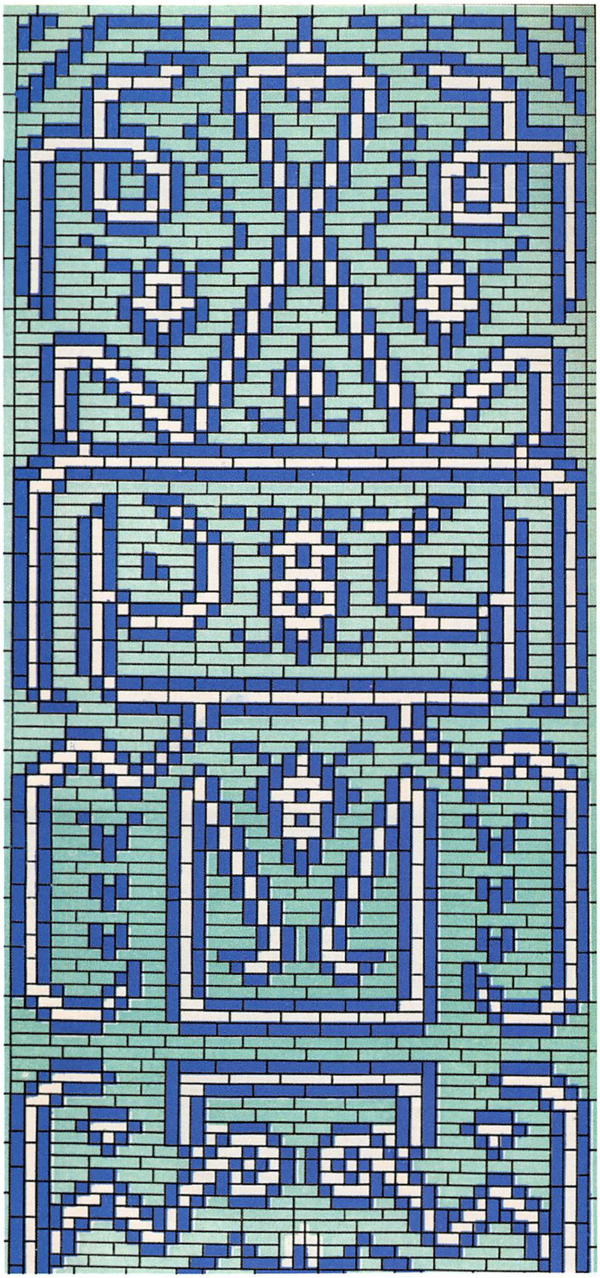


الخزف في الطراز المغربي

تصدرت الأندلس في إنتاج الخزف في غرب العالم الإسلامي، وقد كانت سائر بلدان المغرب تستورد منها أنواع الخزف الجميل، وأما خزف الجزائر ومراكش فإنما كان خزفاً شعبياً للاستعمال العادي.

وقد عثر في مدينة الزهراء على مقربة من قرطبة وفي قصر الحمراء بغرناطة على قطع خزفية تشهد بأن صناعة الخزف كانت بين القرنين الرابع والثامن الهجري «١٠-١٤م» على صلة تامة مع شرق العالم الإسلامي، وقد ذاعت شهرة ملقة وغرناطة في إنتاج الصحون والقدور والبلاطات من الخزف ذي البريق المعدني ذي اللون الذهبي واشتهرت قرية «منشية» من أعمال بلنسية فيما بين القرنين الثامن والعاشر الهجريين وكانت لها السيادة في هذا الميدان عندما انسحبت منه ملقة في القرن التاسع.





قـاشـان

تستحق قاشان أن تتبوأ مكان التفوق في تاريخ الخزف الإيراني، والواقع أن ما نعرفه عن هذه المدينة أقل بكثير مما نعرفه عن سائر المدن الإيرانية الكبيرة مثل تبريز وهراة والري، وحسبنا أن استخدام كلمة «قاشاني» تستعمل لدلالة على بعض أنواع الخزف المصنوع في تلك المدينة.

يقول ياقوت الحموي في معجم البلدان :

«قاشان : مدينة قرب أصبهان تذكر مع قم ، ومنها يجلب غضار القاشاني والعامة تقول القاشي أو الكاشي» .

وقد ازدهر فوق هذا فيها تحسين الخط ، وصناعة التحف المعدنية ، كما عثر في أطلال قاشان على كميات وافرة من شتى أنواع الخزف ، كما عثر فيها على بعض الأفران ، وعلى نحو ثلاثين قطعة تالفة أثناء حرقها في الفرن مما يدل على أنها صنعت في قاشان ولم تُصدر إليها من مراكز صناعية أخرى . وقد لاحظ الجغرافيون والرحالة في العصور الوسطى استعمال الخزف المصنوع بمدينة قاشان في كثير من العمائر الجميلة في شتى أنحاء العالم الإسلامي .



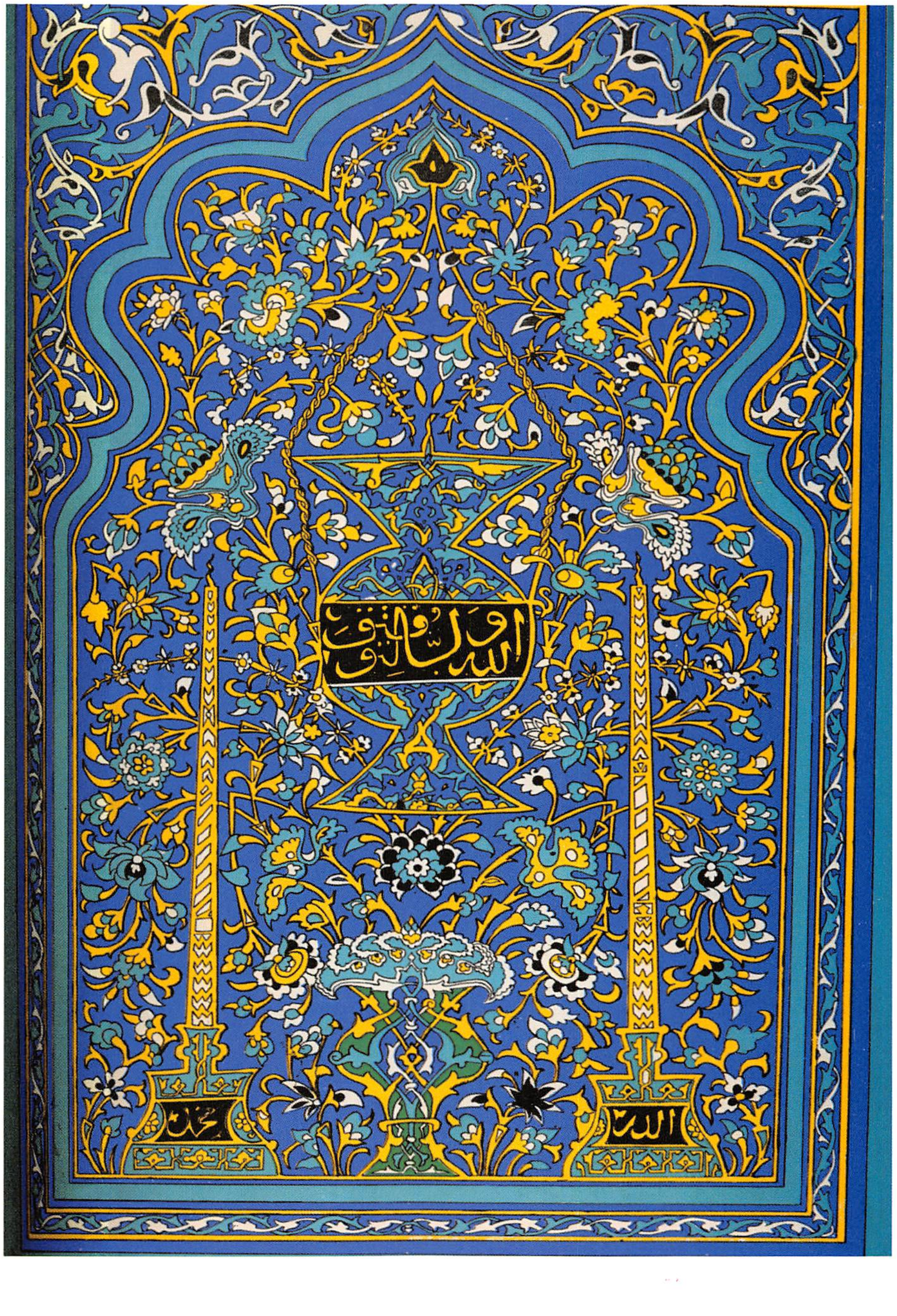


كما جاء كشف المخطوط الذي وجد في استانبول مؤيداً لما نراه عن قاشان في صناعة الخزف، فإن مؤلفه أبا القاسم عبدالله بن محمد بن أبي الطاهر، إخصائي في هذه الصناعة، كتبه في قاشان سنة ٧٠٠هـ «١٣٠٠م» ووصف فيه بعض العمليات الفنية في صناعة الخزف، وتحدث عن بعض المواد المستعملة فيه، ولاغرو فقد كان من أسرة ذاعت شهرة أفرادها في هذا الميدان ولاتزال أسماء أخيه يوسف بن علي بن محمود وأبيه علي بن محمد وجده محمد بن أبي الطاهر باقية على بعض الآثار الفنية الخزفية المعروفة.

ومن الخزافين الذين شاعت شهرتهم في قاشان: أبو زيد وعلي ابنا محمد أبي زيد. وقد اشتغلا بصناعة الخزف ذي البريق المعدني في بداية القرن السابع الهجري.

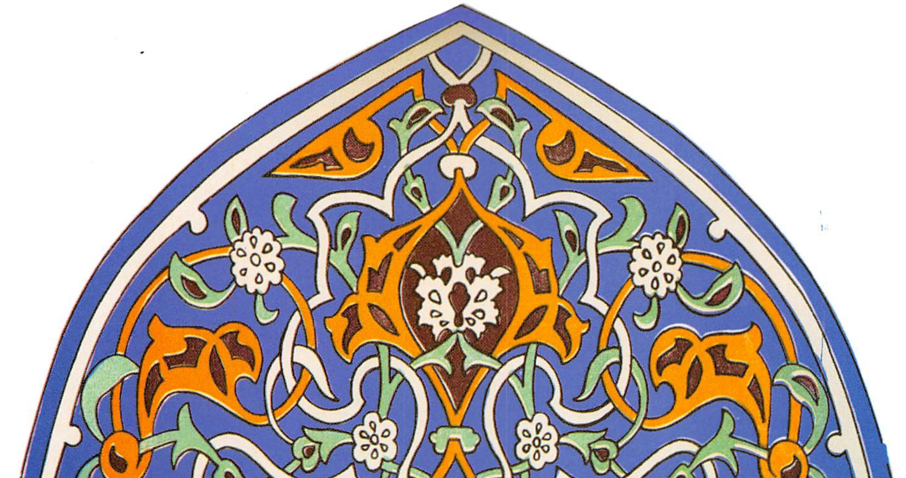


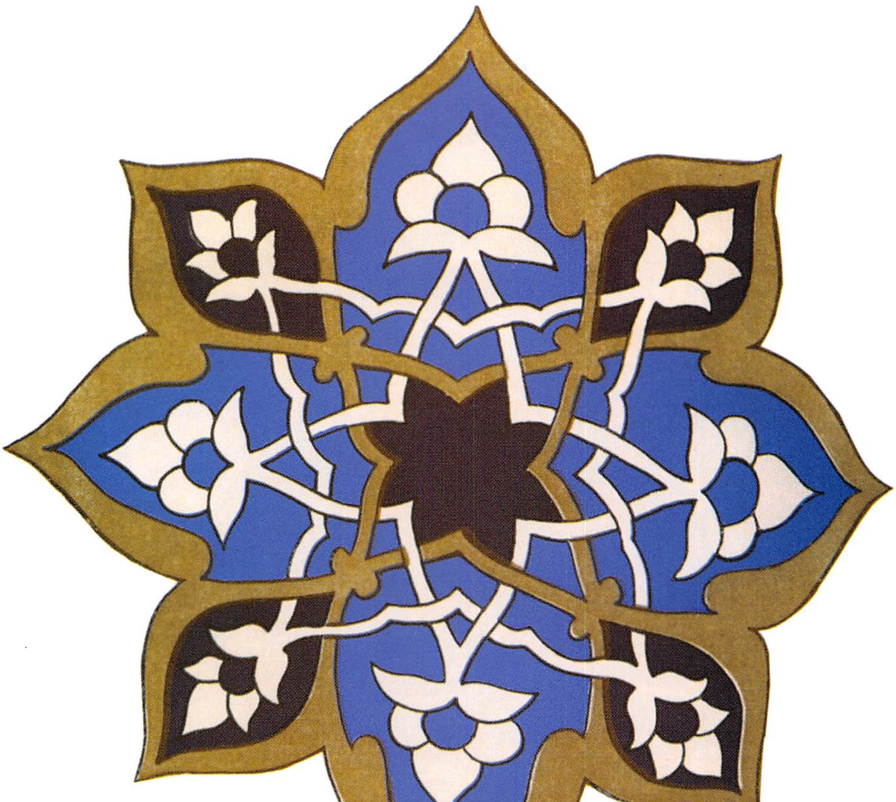




محمد
الله

وجاء اسم أبي زيد على أحد المحاريب في ضريح الإمام الرضا بمدينة مشهد، كما جاء اسم أخيه علي بن محمد أبي زيد على بعض لوحات القاشاني في نفس الضريح، وتاريخ هذا المحراب ٦١٢هـ «١٢١٥م» ومنهم كذلك الحسن بن عربشاه الذي جاء اسمه على محراب من القاشاني ذي البريق المعدني والزخارف البارزة، أصله من جامع الميدان في قاشان، ومؤرخ من سنة ٦٢٣هـ-١٢٢٦م ومحفوظ الآن في القسم الإسلامي من متاحف الدولة في برلين. وجاء اسم هذا الفنان أيضاً على بعض اللواحات من محراب محفوظ في متحف فكتوريا وألبرت بلندن.

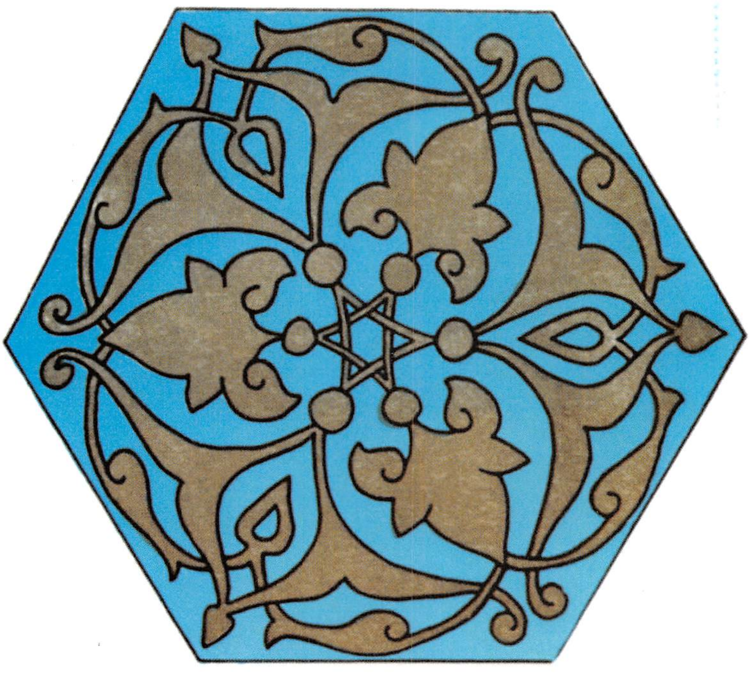


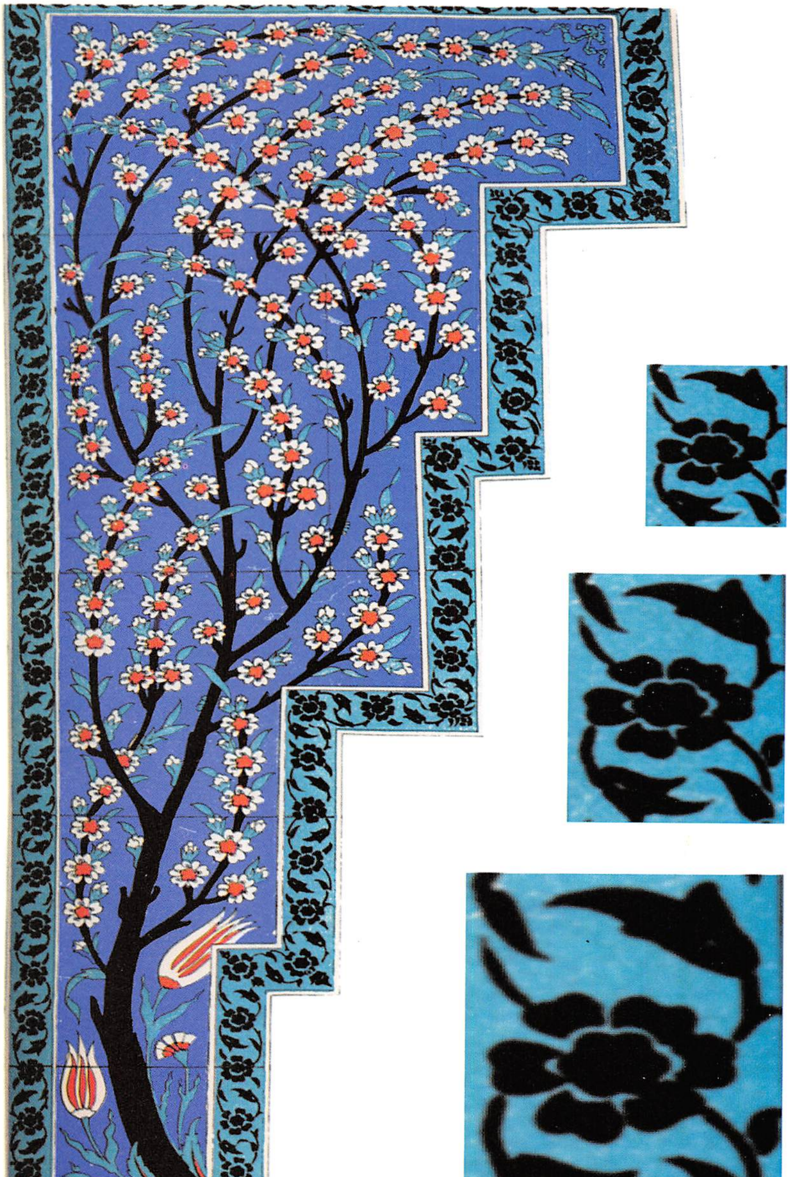


كما أن هناك مجموعة من الخزافيين من قاشان تبوّؤا مراكز الشهرة أمثال علي الحسيني كاتبي الذي نقرأ إمضاءه على محراب متحف الإرمتاج، وحسين بن علي بن أحمد وقد جاء اسمه على محراب في متحف المترلوليتان بنيويـورك، وعبدالله بن محمود عبدالله الذي نرى إمضاءه عـلى لوحـة من القاشـاني مؤرخة من سـنة ٦١٢هـ ١٢١٥م وموجودة في حرم ضريح الإمام الرضا بمدينة شهد.

والحق أن تلك المحاريب تعد من إبداع الآثار الفنية التي أنتجها الخزافون الإيرانيون في كل الصور.

وإذا حكمنا بما نراه في هذه النماذج المعروفة من دقة وإبداع ألوان، أردكنا أن صناعتها لم تكن مجهولة في القرن السادس الهجري، وأنها ارتقت بعد ذلك حتى وصلت إلى الازدهار الذي عرفناه.





لقد استطاع الإيرانيون إتقان صناعة النجوم والتربيعات من الخزف ذي البريق المعدني لكسوة الجدران، ونمت هذه الصناعة نمواً عظيماً بين القرنين السادس والثاني عشر بعد الهجرة، ووكانت تلك النجوم الخزفية آية في دقة الصناعة وجمال اللون وإبداع الرسوم النباتية والحيوانية والآدمية التي تزينها، أما سائر الألواح الخزفية التي كانت تكسى بها الجدران فكانت زخارفها بارزة تزينها الكتابة الكوفية والنسخية.

وقد اشتهرت قاشان على الخصوص بصناعة اللوحات ذات البريق المعدني من مختلف الأحجام والأشكال، فمنها النجمية والمصلبة الشكل وذات الأضلاع المتعددة. وكانت في البداية ملساء ذات زخرف منقوشة فحسب، ولكن بعضها أصبح منذ نهاية القرن السابع الهجري ذا زخارف بارزة قليلاً، ومهما يكن من أمر، فإنا نجد على هذه اللوحات زخارف مختلفة، بين رسوم آدمية وحيوانية ونباتية ويظهر فيها كل التأثر بفن تصوير المخطوطات.



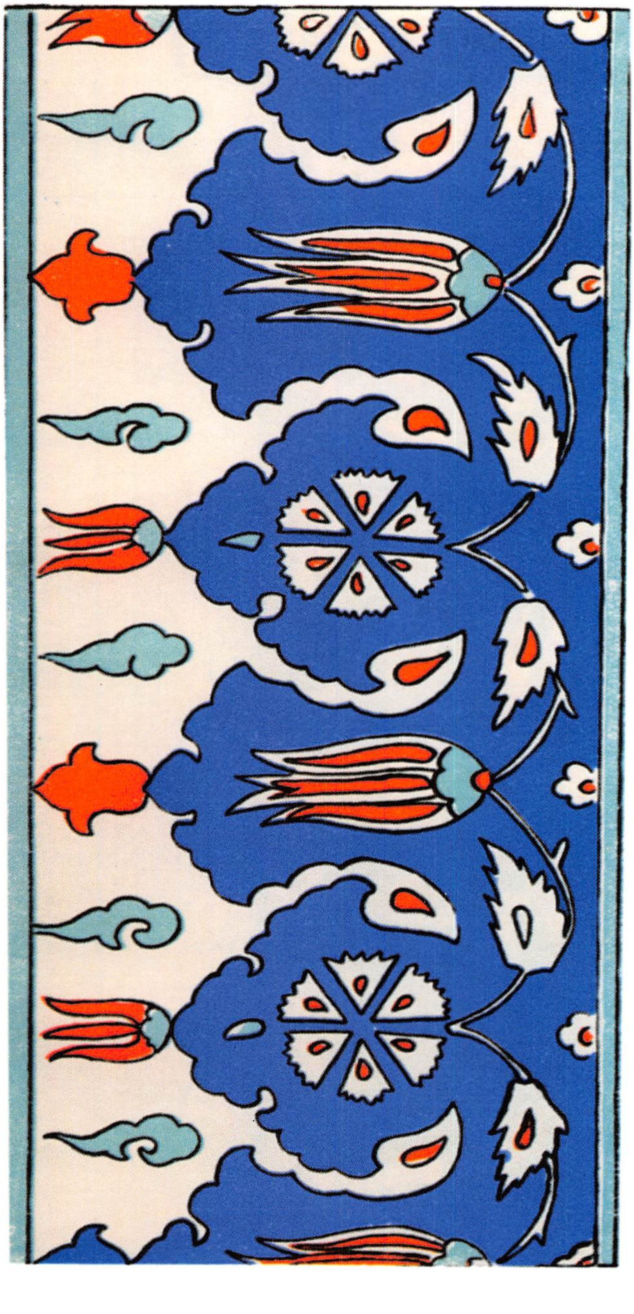




وقد وصلتنا أسماء ثلاثة فنانين ممن اشتغلوا بصناعة تربيعات القاشاني ذي البريق المعدني، وهم أبو زيد وأبو فضه، وفخر الدين، وجمال الذين، وأعظمهم شأناً هو أبو زيد، وقد عمل في بداية القرن السابع الهجري، كما يظهر من القطع المؤرخة التي عليها اسمه، وإحداها في دار الآثار العربية بالقاهرة.

إن صناعة تلك التربيعات القاشانية بدأت بالاضمحلال منذ نهاية القرن الثامن الهجري، فساء نوع البريق المعدني والزخارف النباتية التي كانت أرضية للرسم الرئيسي ولعل ذلك ناشئ من الإقبال على صناعة الفسيفساء والخزفية التي كانت أقل نفقة وأكثر ملاءمة لتغطية المساحات الواسعة.

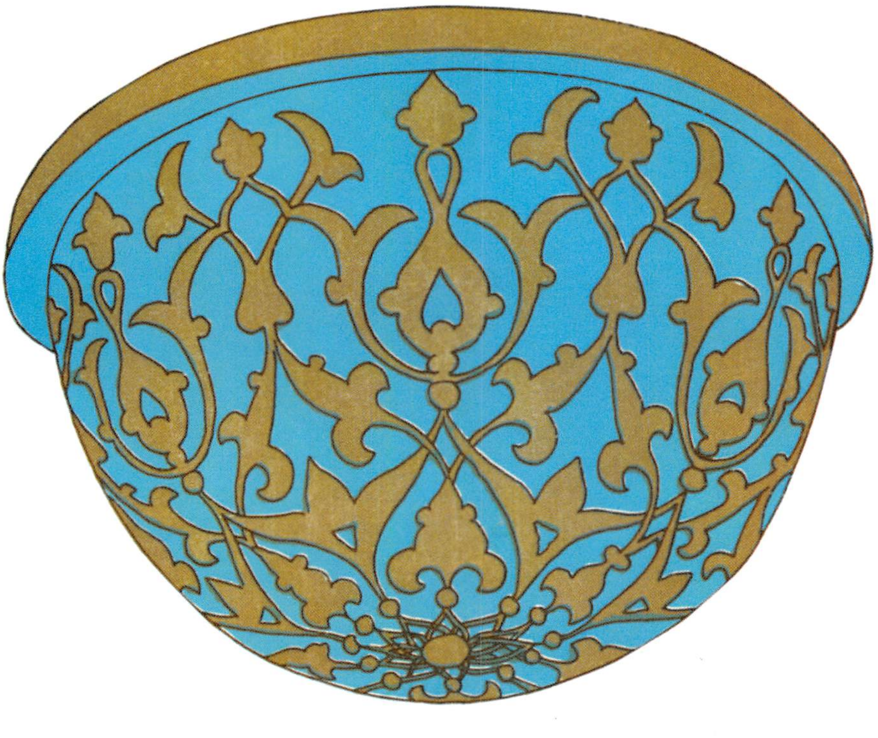






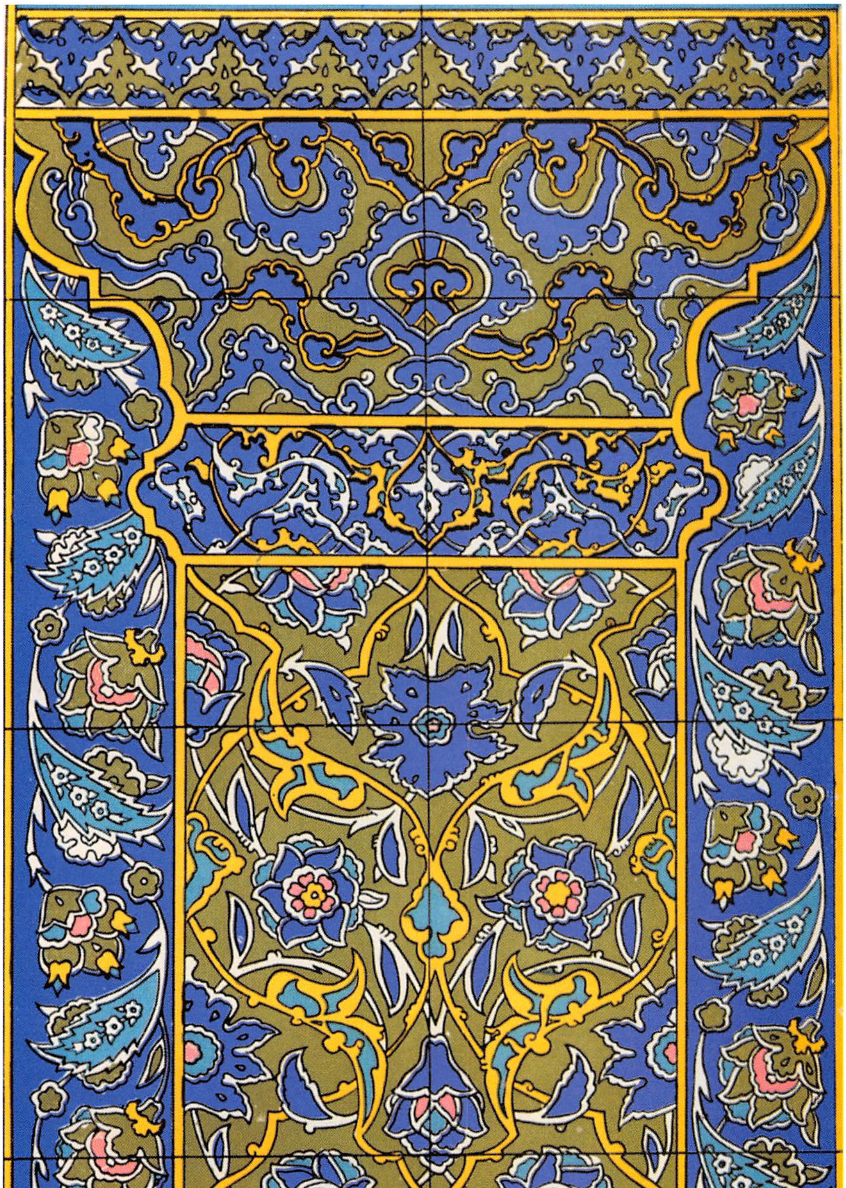
وأكبر الظن أن نشاط الخزفيين في قاشان لم يكن وقفاً على المحاريب والتربيعات القاشانية، بل أنتجوا ضروباً طيبة جداً من الأواني والتحف ذات البريق المعدني، استعملوا فيها معظم الرسوم التي كانت في زخارف المحاريب والتربيعات.

ومجمل القول: إن قاشان كانت مركزاً عظيماً جداً من مراكز الصناعة الخزفية، وأن شهرة مصانعها ذاعت في بلاد الشرق الإسلامي قاطبة بين القرنين السادس والثامن بعد الهجرة، ولم تفقد مكانتها في متحف المتربولتان والقاشانية المؤرخة ٨٦٩هـ تؤيد ما نقوله من دقة الصنعة وجمال الزخرفة.





الخزف العثماني



استخدم القرة خانيون وهي أول دولة تركية إسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي بسمرقند الفخار المكتوب بالخط الكوفي بالطريقة المعروفة بـ«ىِّ» أي بطانة الطلاء بالإضافة إلى الألواح التي زين به قصر غزنة.

إن الخزف الـذي تحدثـنـا عـنـه في الـعـصـر العباسي قد أخذ دوره الكبير في الانتشار وكانت مدن الري وقاشان التابعة للسلاجقة تقدم كل جديد وطريف وتليد في ميدان صناعة الخزف. إن آثار الخزف في الأناضول لا تعود إلى عهد بعيد وإنما بدأت تزهو وتزدهر حين قامت في منتصف القرن الرابع عشر والخامس عشر مدينة إزنيك بهذه الصناعة. فالآثار الفخارية المعجرنة من الطين والتي كانت تعرف باسم «الشكل الملتي» أنتجت مواد وافرة وبينت النقوش الأثرية التي تزدهي برسوم الأزهار والأوراق المتناسقة والتصميمات الهندسية الحلزونية التي طليت بالألوان الفيروزية الزرقاء القاتمة والأرجوانية والسوداء مدى تقدم هذه الصناعة في إزبيك.



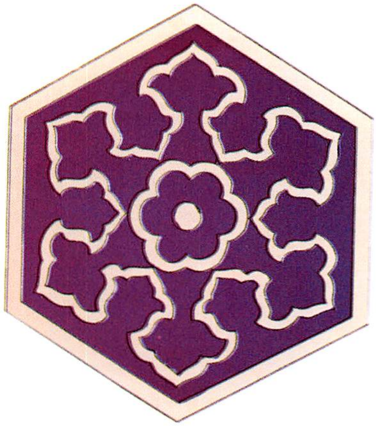


وفي القـرن الخامس عشـر وبـدايـة الـقـرن السادس عشر ، اشتهرت إزبيك بالخزف الأبيض والأزرق، وحاكى الخزف الصيني بدقة صنعته وجمال ألوانه، وكانت الزخارف في البداية زرقاء قاتمة، ثم تحولت إلى زرقاء فيروزية فاتحة.

إن المجموعة التي كانت أكثر شهرة لإزبيك هي النماذج المطلي باطنها باللون الأحـمـر ولـونت ورسـم عـلـيـهـا أزهار الخزامى «فرن الغزال» والورد والحلحل، والبنفسج والشقائق وأغصان الربيع.

إن الآثار الإزبيكية فقدت بسرعة في القرن السابع عشر وبهت اللون الأحمر وصار بنياً، وتلفت كوتاهية الأنظار في القرن الثامن عشر بمجموعة رائعة جيدة، وتتأثر بالألوان الحمراء اللامعة والخضراء والزرقاء والصفراء، وفي داخل التواءات سواء مخططة بالفرشاة، وأما اثار جناق قلعة فهي أكثر روعة إذ تعكس الفن الشعبي فما بين أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن العشرين وإن الرئان والصحون والأطباق قد طليت بطانتها بالألوان الزراقاء والأرجوانية الباذنجانية والصفراء البرتقالية.

إن مـا قـدمـه الأتـراك المسـلـمـون لفن القاشاني والخزف يعتبر أسلوباً فريداً ومقدرة كبيرة على تقدم وازدهار هذه الصناعة.







الخزف ...

فن وصناعة ...

بعد المقدمة التاريخية التي لابد منها للاطلاع على ما قدمه الأجداد في هذه الصناعة، وبعد أن استعرضنا بعض الأفكار التي استخدمها القدماء والمواد التي استعملوها في هذه الصناعة، فإنه لابد من أن نقف على الخطوات التي يجب أن يقوم بها الهادي ليصل إلى ما يبتغيه من معرفة. لذا كان هذا الكتاب الذي سنطلع فيه الهادي على المواد الأساسية لصنع الخزف. . وما هي الخطوات الأساسية للصناعة اليدوية. وسنستعرض التقنيات ضمن تجارب ومشاريع محددة من خلال الفكرة والعمل والرسم والتشطيب والشي. كما نؤكد هنا على أهمية التصميم والتجارب سوية مع إتقان جيد للحرفة، وكيف يمكن للتقنيات والأفكار من أن تتطور وتتسع من خلال العمل.

وأود أن أقول لك منذ البداية لا تقلق على التصميم، وليكن اهتمامك بالمواد والتجربة. . ولا تنظر لما ترتكبه من خطأ، وغالباً ما يعلم الإنسان الخطأ لأنه يستفيد من تجاربه، وذلك أفضل بكثير من النجاح في البداية، ويجب عليك أن تعمل دائماً وتتدوب حتى تتفاعل بإحساس مع المادة. .

إن محاكاة الأعمال الموجودة في الأسواق والتي تنتجها المعامل أمر قد يكون محبطاً لعزيمة لأنه لايمكن أن تقارن بين عملك والعمل الذي يقوم به آلاف العمال في المصانع، فالعمل اليدوي فيه إحساس وطابع الصانع للفنان الذي ينتجه بعيداً عن الآلة وتقنيات الحراثة.

ولنبدأ لنستعرض ما نريده من صناعة الخزف، وما هي المواد التي سنقتنيها في هذه الحرفة المفيدة والشيقة والممتعة والمفيدة.

١ - الصلصال :

قوام مادة الخزف وعماد العمل على الصلصال. فهل هو الطين الموجود في الطبيعة أم أن الصلصال المستعمل في صناعة الخزف يلعب دوراً في إنتاج القطعة التي يراد منها الفائدة؟

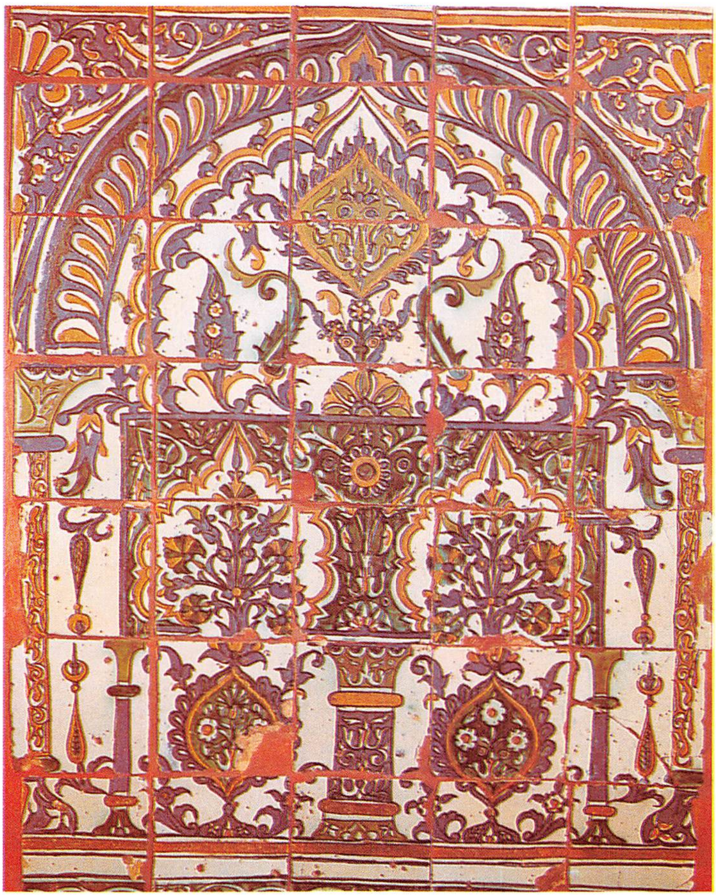
الصلصال هو مادة طبيعية موجودة في عدة أشكال في جميع أنحاء العالم، إنه الصخرة التي تحللت عبر الزمن وضمن العوامل الجوية بعد أن جرفتها المياه من الجبال حتى قعر الأنهار وبرك الماء. ولون هذه الصخرة يعتمد على نسبة الحديد والتلوث الذي شكلها عبر القرون، ونادراً ما تؤخذ من الطبيعة كما هي وتستعمل في صنع الأواني الخزفية، ومعظم كتل الطين التجاري ما هي إلا خلائط من عدة أنواع من الصلصال وكل منه له نوعية خاصة.

إن وفرة الصلصال وإمكانية الحصول عليه وتشكيلاته المتنوعة تجعله مادة واسعة الانتشار سهلة الحصول، فهو الذي يستعمل في مواد البناء، البورسلان المرهف، الآنية المزينة، معدات المخابر، وهو مركب أساسي في مواد التجميل والمواد الصيدلانية والورق، ويمكن برم الصلصال، تدويره، قذفه، ثنيه ولصقه، ويمكن أن يكون قياسياً، حاداً، صلباً، طرياً، ناعماً، غير متبلور، ويمكن أن يكون السطح دلقا، مائعاً، أتو قياسياً كالصخر. وبعد شيّه يصبح مضاداً للماء وثابتاً.

إن المكتشفات الأثرية زدوتنا بقطع وكسر آنية من مواد الصلصال، وهو أقدم المواد التي بدأ الإنسان به العمل، وبقي على حالته منذ أن وجد الإنسان، يستعمله أينما وجد وبذات الطرق منذ آلاف السنين، ومن الممكن ملاحظة التشابه المذهل في الصناعة بين الإنسان قديماً وحديثاً. ومن المحتمل أن يكون الإنسان قديماً استخدم الصلصال كما وجده في الطبيعة وبحالته «الخام» فعمل وصنع منه السلال، وبالتدريج شيئاً فشيئاً اكتشف أن هذه المادة تقسو بالنار، ومن خلال التعامل مع الصلصال، تطورت معرفته واكتسب الخبرة وحسّن، وكانت مصانع التصنيع والتكرير قد أخذت تظهر إلى حيّز الوجود.

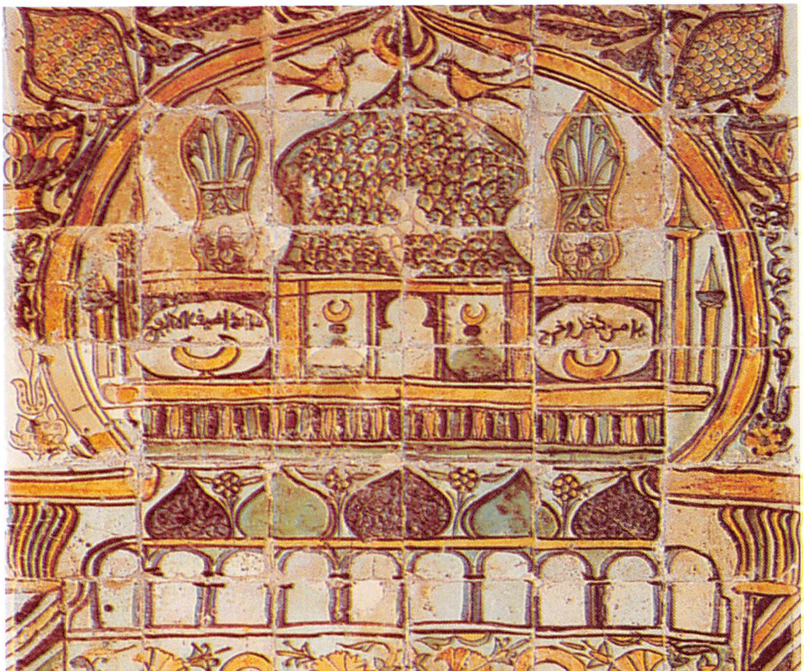
عـنـدا وصـل الخزف الصيـنـي ، والخزف الإسـلامي إلى العصر الذهبي في الصـنـاعـة ، كـان الأوربـيـون يستخدمون الأواني الخزفية المصنوعية من الصلصال الأحمر الخام ، والأواني المعدنية والخشبية ولآنية الطعام .

وفي هذا الوقت جلب رواج التجارة مع الشرق مزيداً من النماذج من الخزف الصيني النقي إلى أوربة ، وهنا بدأ الصراع لإنتاج خزف أوربي في هذه القارة ، وبدأت التطورات على المنتجات الأوربية وظهر الخزف الإيطالبي «الميوليك» تقليداً للخزف الصيني «بون تشاينا» و«يدج وود» خزف نفيس ، و«ليموج» .









التصميم :

هو إبداع شكل بنمط معين وهيكل مدروس، وغالباً ما ينبئ الطراز عن الواقع الاجتماعي الذي سيستخدمه الإنسان أثناء حياته اليومية، ولو عدنا إلى الطرز والنماذج للهياكل التي مرت عبر التاريخ فإننا سنجد الحاجة إلى الطراز تشكل بالنسبة العظمى في ابتداع الشكل، فكم من الأباريق والدوراق والقوارير الخزفية بالإضافة إلى المحابر وحافظات الأقلام تمثل بشكل الحاجة التي يوافق فيها الشكل الخارجي والحاجة المراد استعمالها. وكم من عمل تحدد ملامحه الخارجية العصر الذي وجد فيه، فهذا إبريق عثماني وآخر فارسي، وثالث عباسي وطولوني وفاطمي وأيوبي وسلجوقي إلى غير ذلك من الأشكال التي تعرف من طرازها وألوانها.

فالتصميم إذن هو اختيار الشكل ونوع الزخرفة والهيكل العام وهو يحتاج إلى أربعة عناصر :

عناصر التصميم :

١ - الوظيفة :

ونعني بالوظيفة ابتداع الشكل للعرض المراد منه، أي أن الخزاف في البدء يفكر في صنع الهيكل الذي يراد به الاستعمال فإذا ما أراد أن يصنع إناء لحفظ الزيت فلا بد له من أن يفكر في العمل والشكل الذي يرضي الذوق والغاية وكذلك إن كان كأساً أو كوباً أؤ فنجان قهوة أو غير ذلك من الزبادي والصحون أو البلاد للزينة. . وظيفة الشكل تحدد الملامح وتدفع بالخزاف إلى وضع ملامح الهيكل.

بين أيدينا مجموعة من القدور والفازات الصينية والتي تعود إلى عام «٦١٨-٩٠٨م» إلى أسرة تانغ التي اشتهرت بالخزفيات البيضاء وبنقاء العمل والصنعة وجمال الدقة.



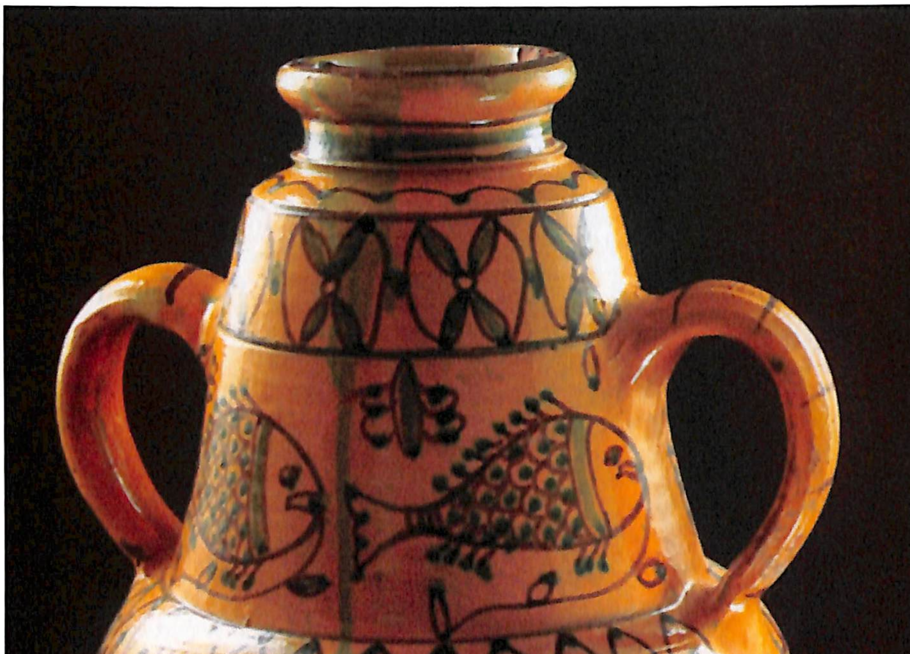
٢- المادة :

كما سبق وقلنا إن الحاجة تحدد الهيئة التي يختارها الخزاف لعمله، فليس كل عمل خزفي مناسب للغاية التي يحتاجها الإنسان. فكم من قدر لايمكن استخدامه إلا من النحاس أو من المعدن، فإذا ما أراد المرء أن يصنع حلّة لطبخ اللحوم ولكمية كبيرة فلا يمكن أن تكون هذه الحلة من الخزف.

وما يجب على الخزاف عمله هو فهمه لما يريد من العمل. فالمساحة والحجم والغاية هي مادة العمل إن كان من الصلصال أو غيره.. وهل كل الصلصال نافع للعمل؟ أم أن الصلصال أنواع؟ نعم.. هناك أنواع من الصلصال.. وعدة طرق للتصنيع، فهناك الصلصال الخشن الذي يدخل في صنع الأصص الزراعية، وهناك صلصال ناعم أملس يدخل في صناعة الزبادي ليكون سهل الاستعمال وسهل التنظيف وعلى الخزاف أن يدرك ذلك.

٣- الطراز :

إن اختيار الشكل والطراز هام جداً وضروري لمعرفة الهيئة التي يجب على الخزاف صنعها وعملها، فهذا مثلاً وعاء للزيت وآخر للطعام، وهذه زبدية للحساء واستعمالات أخرى، وتصميم الطراز هام في هذه المرحلة وضروري معرفة طريقة الاستعمال حتى يسهل على الصانع الشكل الذي يبتغيه.. فهذا الشكل مربع يبنى دفعة واحدة، وآخر مستدير يبنى من الصلصال على مراحل وقد يكون الهيكل والطراز مصنوع يدوياً وبدون دلاوب وقد يكون صناعياً يأخذ شكلاً متزناً، وعلى أية حال فالخزف مادة طينية لاخيار فيها لأي استخدام، وإنما استخدامات محددة. إن حس الفنان الخزاف ومشاعره هي التي تعطينا الطراز الذي يمليه عليه هذا الحس. وإن كنت مبتدئاً في هذا الفن فاصنع من العجين الطيني أكثر من نموذج وتأمل هذه النماذج التي تبنيها ثم اختر ما يروق لك.



النماذج التي يستقي فيها الفنان الطراز

الطبيعة التي تحيط بنا هي من أهم المصادر التي يستقي منها الفنان أشكال وهيئات النماذج التي يود أن يصنعها، وهي الملهم الأول والوحيد للصناع والحرفي، ولابد من التأمل في هذا الكون والنظر إلى خلق الإنسان والحيوان والنبات والبناء، وتركيب الأشياء البعيدة والقريبة، وغالباً ما يحتاج الصانع إلى عالم تكثر فيه المواد المادية، وله أن يسأل: كيف يملأ الفراغ؟ وهي مشكلة تواجه الحرفي دائماً، ولو عدنا إلى أسلافنا نستعين بهم وندرس كيفية تفسيرهم للأشياء، لاستفدنا كثيراً وسنضعهم أمامنا دليلاً نقتفي أثره، كي نصل إلى ذروة الفن الذي وصلوه، ويمكن أن يدرس الإنسان النتاج الصناعي عند الأجداد من وجهة النظر:

١- الشكل وعلاقته بالإنشاء،
٢- العينه وصلتها بالشكل،
٣- التراكيب وانتماؤها إلى الإنشاء والتزيين،
٤- اللون إذ ينتمي للعينه والشكل،
٥- كل هذه النقاط تنتمي للعالم الذي نعيش فيه. ويتيح فيه للحرفيّ الكثير.

وهذه الصور تمثل بعضاً من الإلهامات التي استمدها الصانع القديم من الطبيعة.



طريقة صناعة الخزف

ينقسم الخزف كما لاحظنا في البداية إلى جملة من العوامل التي يصنع منها وللطريقة في الصنع، ولذلك ثلاثة أنواع :

١ - الأواني المصنوعة من الطين «عجينة» الأحمر المحروق المطلي وغير المطلي ويعرف ذلك بالفخار الذي خصص له كتاب آخر من كتب دار دمشق التي تتحدث عن صناعته، وينقسم الفخار بدوره إلى أقسام ثلاثة أيضاً :

١- فخار غير مطلي ٢- فخار مطلي ٣- فخار من طين أسود يعرف باسم طين روستشوك، وهو اسم مدينة بلغارية تجلب منها هذه الطينة، وكان الأتراك يستخدمونها في صناعة أقداح القهوة والنرجيلة والكؤوس المرصعة بمسامير الفضة، ومما يؤسف له أن سر هذه الصنعة قد مات بموت صانعيها ولم يعد لها وجود.

٢- الأواني والأوعية المصنوعة من الطين «عجينة» الأبيض الجيد، وهو ما يعرف بالخزف، وتتكون عجينته من مواد ثلاثة :

١ - مواد مرنة، ٢- مواد خشنة، ٣- مواد صاهرة، وهذه الطينة لاتوجد في الطبيعة إلا في القليل النادر لذا فلابد من جمعها مع بعضها وذلك من الطفل الجيري والطفل الحديدي، والطفل العسر، والطفل الكوليتي، وجميع هذه المواد تحتوي على عنصرين أساسيين هما : «السيليس «سيلكا» أي الرمل الناعم جداً والألومين، ومعظمها يحتوي إلى جانب العنصرين السابقين على مواد أخرى غريبة عنها، مثل أوكسيد الحديد وكربونات الجير.

أما المواد الخشنة أو غير المرنة، فهي تشمل على المواد الصوانية عامة، غير أن أكثرها استعمالاً في صناعة الخزف هو الرمل، وفائدة المواد الخشنة ليست قاصرة على تحديد المرونة في العجينة فقط، بل لها مفعول كيميائي خاص يفيد العجينة ويجعلها صالحة لعملية التشكيل، كما قد يكون لها مفعول المواد الصاهرة إذا أحرقت العجينة في درجة حرارة مرتفعة.

٣- المادة الصاهرة :

من أهم أنواعها الفلدسبات والجير ، ووظيفة هذه المادة للخزاف هي إعطاء الصلابة والمتانة إذا كان الإحراق في درجة حرارة كافية لتحويل العجينة إلى جسم زجاجي .

ومادة الجير وإن كانت في ذاتها غير قابلة للانصهار ، إلا أنها في درجة حرارة ١٠٠٠ سنتجراد ، تتفاعل مع بقية عناصر الطفل وتتحول لمادة صاهرة ، ويكون لها ، أي مادة الجير ، مفعول المواد الخشنة غير المرنة إذا قلت درجة الحرارة عن الألف درجة .

وكما أن المواد الخشنة والصاهرة تدخل ضمن عجينة الخزف لإصلاحها ، فإنها تدخل كذلك في تراكيب الدهانات لاصلاحها .

٣- الأواني والأوعية المصنوعة من الخزف الشفاف والتي تسمح عجينتها بمرور الضوء ، وتعرف بالبورسلين ، وتمتاز العجينة هذه بنقاوتها إلى حد بعيد ، وتحتوي على ٩٠٪ من سلكا الأليومين ، ١٠٪ ميكا وشوائب أخرى . وعلى مقدار هذه الشوائب يتوقف لون العجينة ، فإن قلّت كانت العجينة بيضاء وإن زادت الشوائب أصبحت العجينة سمراء نوعاً ما . .

إن سلكات الأليومين هي المادة الأساسية لتكوين عجينة البورسلين ، التي لاتتأثر بالحرارة إلا في الحالات التي تكون فيها درجة الحرارة مرتفعة جداً وتصل إلى ٢٠٠٠ سنتجراد ، لذا فإنه يضاف إليها بعض المواد الأخرى التي تتأثر في درجات حرارة أقل من السابق ، وهذه المواد هي مسحوق الفلسبار ، أو مسحوق العظم المحروق .

وللحصول على الآنية الخزفية من أي نوع من الأنواع الثلاثة السابق ذكرها يجب أن تمر بمراحل أربع . . وهي :





المرحلة الأولى :

إن إعداد الطينة «العجينة» للعمل، بحاجة إلى عمليات فرعية أخرى، فإن كانت الطينة طبيعية غير مخلوطة فإنها تحتاج إلى تنقية وغسل وتخمير، وأما الطينة الصناعية فإنها تتكون من خليط من طينات مختلفة.

ولكي نحصل على عملية مناسبة فسنعمد إلى طحن كل طينة على انفراد مع مراعاة أن تكون كل واحدة درجة واحدة من النعومة، وأن توزن الكميات من الأنواع المختلفة.

بعد ذلك ينقع كل نوع منها في الماء ويترك حتى تتم عملية التخمير، ويصفى كل نوع على حدة، ثم تخلط السوائل جميعها وتصفى مرة كمخلوط واحد، ثم تترك لتجف وتتحول إلى عجينة صالحة لتشكيلها أو تترك سائلة إذا كان تشكيلها يسيتم بطريقة النصبّ.

المرحلة الثانية :

تشكيل العجينة، وتتم هذه العملية بثلاث وسائل : الوسيلة الأولى وتتشكّل بواسطة اليد، وهي أقدم الوسائل التي عرفها الإنسان منذ عرف استعمال الأواني الطنيية، وتحتاج إلى مهارة فائقة.

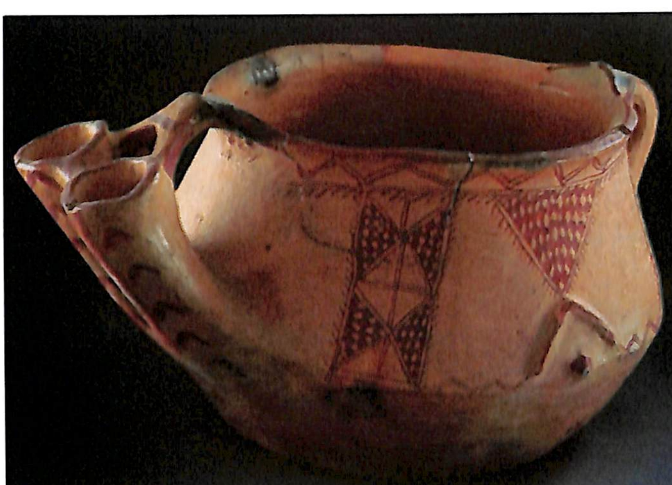
والوسيلة الثانية استعمال الدولاب في عملية التشكيل وقد شرح ذلك في الكتاب الخاص من كتب دار دمشق وتم فيه استعمال مجموعة من الأشكال والقطع الاسطوانية، وكما تحدثنا في البدء فقد عرف الدولاب منذ أقدم الحضارات، والدواليب هذه إما أن تدار باليد أو بالقدم.

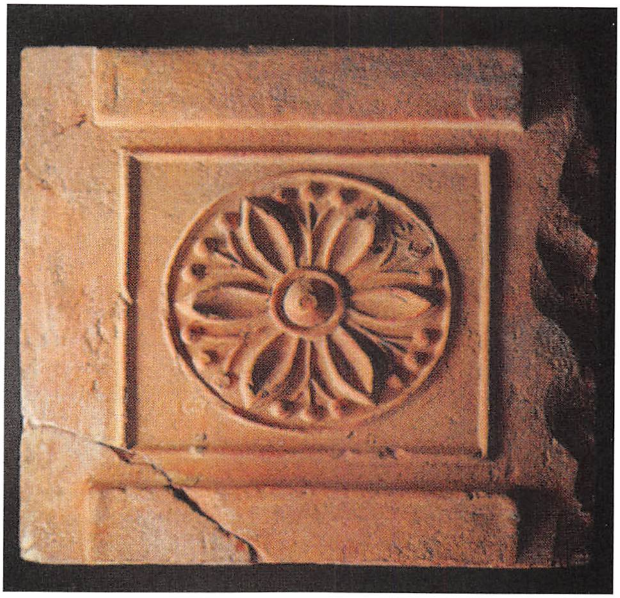
ولقد شاع في الماضي استخدام الدولاب الروماني ذي القرصين، ولايزال حتى اليوم. وإن جميع الخزافين يفضلون الدولاب الروماني لأنه بالإضافة إلى بساطته فإنه يساعد على ربط حواس الخزاف إذ تخرج الآنية وهي تحمل شخصية الفنان وحسه من خلال العمل الفني.

أما الوسيلة الثالثة : فهي طريقة الصبّ، وتشكيل العمل الفني بذلك وبواسطة الصبّ في القوالب، وهذه الطريقة تستعمل غالباً إذا لم تتوفر الطينة الصالحة للإنتاج التجاري باستعمال الدولاب، مع توفر بياض لون الخزف وخفة الوزن والصلابة، وكل ذلك بالإضافة مع قلة التكاليف.

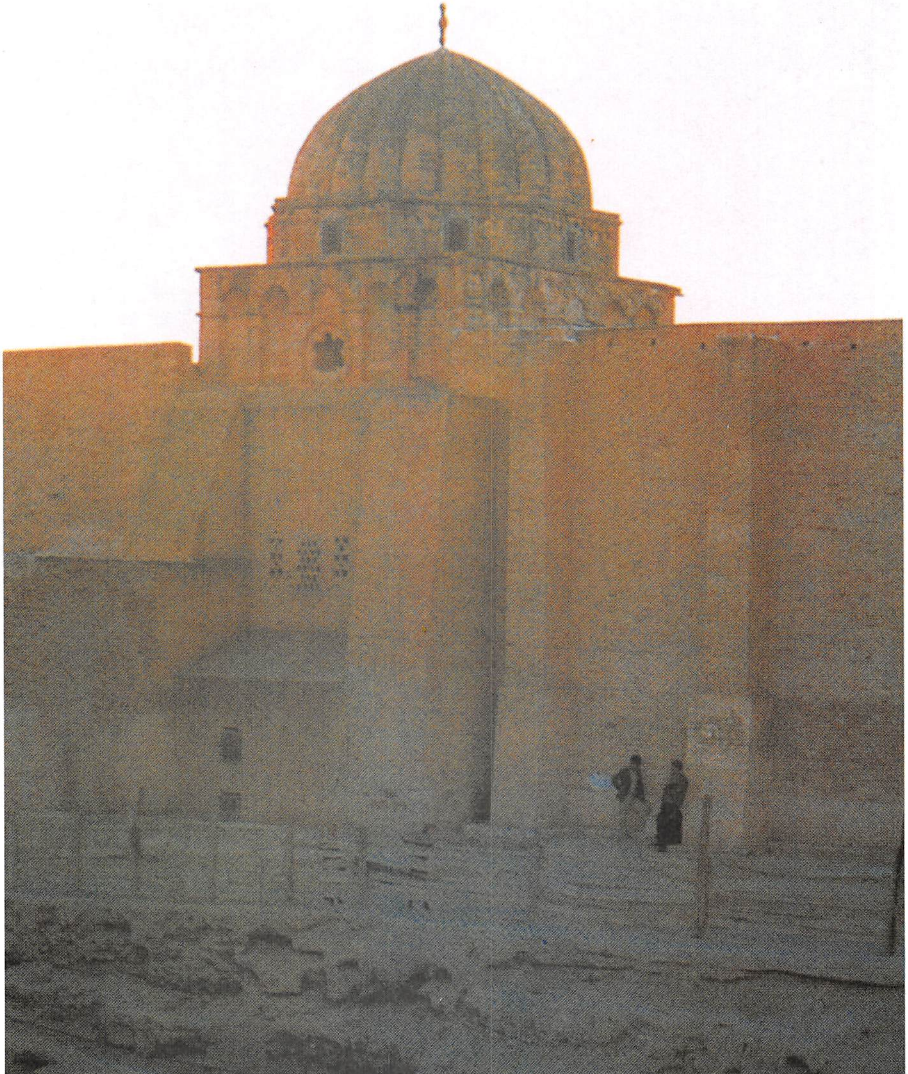
لذا فإن الخزاف يلجأ إلى الطينة والمركبات الصناعية.

إن طريقة الصبّ لاتستخدم للعمل التجاري فحسب، وإنما في إنتاج أنواع فنية أيضاً منها التماثيل غير الاسطوانية والأشكال الأخرى التي لايمكن تشكيلها على الدولاب، وتصنع قوالب الصب من أجود أنواع المصيص وخاصة المصيص الباريسي، ويصنع القالب بعد أن يصمم شكل الأواني المراد صبها، ويراعى تصميم القالب نسبة الانكماش.





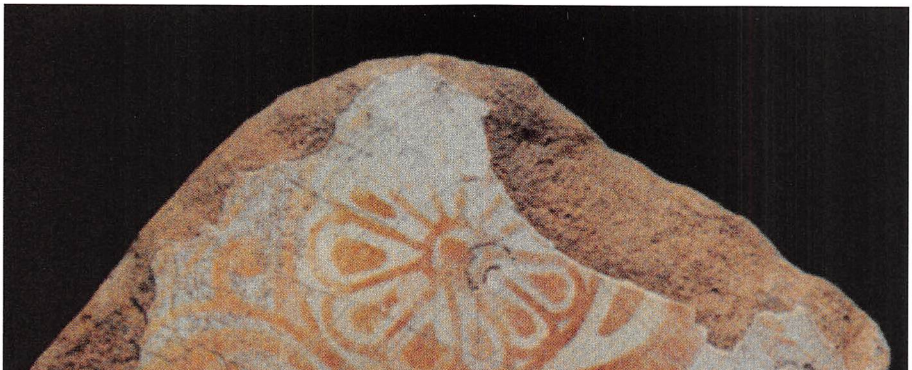


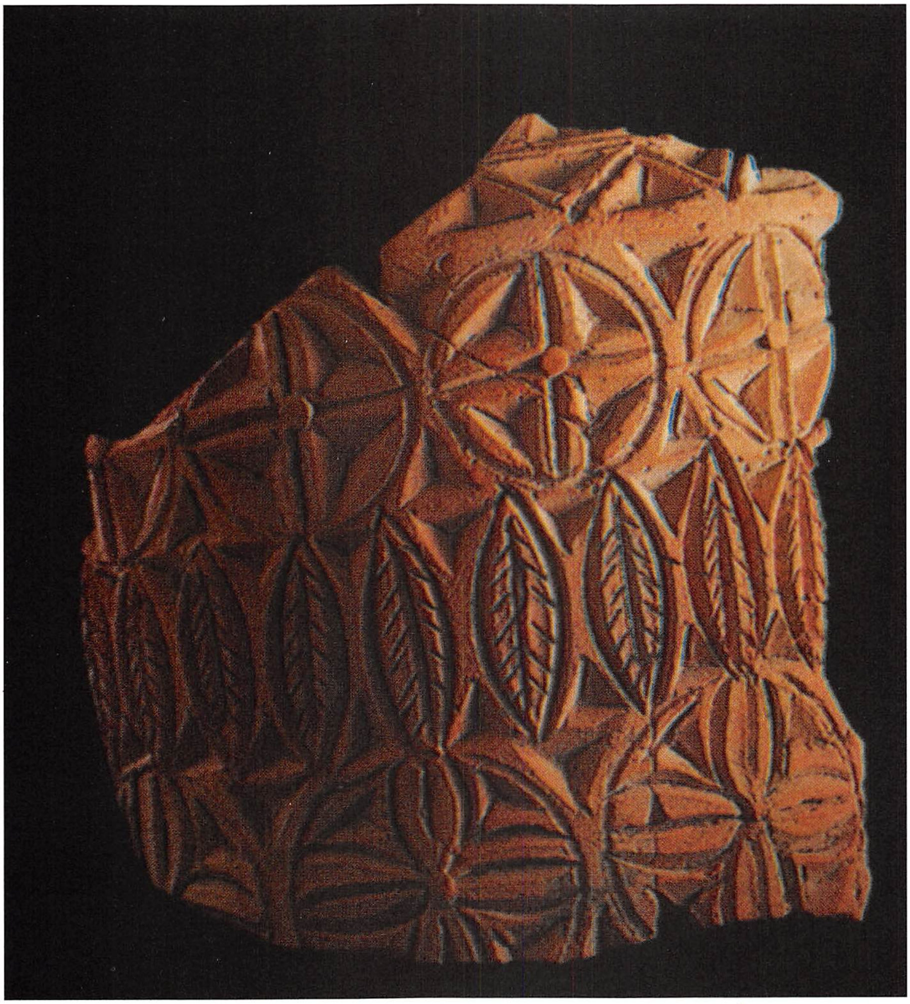


الجامع الكبير في القيروان

دار الإمارة







المرحلة الثالثة:

وهي عملية التجفيف أو الحرق، وتعتبر هذه العملية الخطوة الأخيرة في تشكيل الآنية قبل زخرفتها، فبعد أن تجفف الأواني تجفيفاً طبيعياً، وبالتدريج تصبح الآنية صالحة وقد أعدت للحرق ولكي تتحول من طينة جافة إلى خزف.

والأواني تحرق في درجات حرارة مختلفة وكل حسب تركيب طينته، فالطينة الحمراء «الفخار» والتي فيها أكسيد الحديد، لاتتحمل درجات الحرارة المرتفعة، ويكفي لحرقها الوصول إلى درجة ٩٠٠ سنتجراد تقريباً.

أما الطينة البيضاء «الكولين» وهي التي تحوي على الأليومين بوفرة، ويقل بها أوكسيد الحديد والمواد الغريبة الأخرى، فإن حرقها يتطلب درجات حرارة مرتفعة تصل إلى ١١٠٠ سنتجراد.

ويسمى حرق الأواني بعد عملية تشكيلها مباشرة بالحرق الأول، لأها ستحرق مرة ثانية وثالثة ورابعة في بعض الأحيان بعد إكسائها ألواناً مختلفة ورسوماً شتى.

المرحلة الرابعة

تلوين الأواني وزخرفتها، وهنا يظهر الذوق الفني، وتظهر الخبرة في انتقاء الرسوم والأشكال، وهذه المرحلة هي مرحلة معقدة متشعبة، فالخزف بحاجة إلى طلاء قبل الزخرفة وبدهان غالباً ما يكون أبيض اللون حتى تظهر الزخارف عليه واضحة المعالم.

ويعرف الطلاء الأبيض هذا باسم البطانة، وهي عبارة عن طينة سائلة تطلى بها الأواني قبل حرقها أو بعدها، فتلتصق بها التصاقاً تاماً ولا تنفصل بأيّ حال من الأحوال.

وقد لا يتحقق هذاإذا كانت خامة الطلاء من نوع ينكمش وبنسبة تتعادل مع نسبة انكماش طينة الإناء نفسه عند تعريضهما معاً للحريق.

بعد طلاء الإناء بالبطانة، ترسم الزخارف والأشكال، والزخارف الإسلامية متعددة الأشكال والأنواع، فهناك زخارف المينا كما كان يستخدم في مدينة الري في القرن الثالث عشر، والبريق المعدني الذي بدأ ظهوره في الخزف الإسلامي منذ القرن التاسع واستمر حتى القرن السابع عشر في الخزف الصيني في إيران.

الزخارف الغائرة والنافرة

إن الزخارف المرسومة فوق الدهان والمرسومة تحت الدهان تعني الرسم تحت الطلاء الزجاجي أو فوقه، وقد كثر هذان النوعان في الزخارف التركية والفارسية.

وتنقسم الدهانات إلى نوعين:

١- دهانات شفافة، وأخرى غير شفافة، فهي مظلمة تحجب ما تحتها، ولهذين النوعين ثلاثة أقسام:

١- طلاء قلوي، وهو يحتوي على كمية كبيرة نسبياً من الصودا أو البوتاسا، ويستعمل هذا الطلاء أساساً للحصول على اللون الفيروزي «النزجوازي».

القسم الثاني: دهانات رصاصية: وهي تحتوي على كمية كبيرة من أكسيد الرصاص، وهي أكثر شيوعاً من الدهانات القلوية لسهولة تلوينها إلى معظم الألوان.

القسم الثالث:

طلاءات فلدسباتية وتحتوي على كمية كبيرة من الفلدسبات، ولاتستعمل هذه الطلاءات إلا في الخزف المحروق في درجة حرارة مرتفعة جداً. كالخزف الصيني. ويمكن الحصول على ألوان متعددة من الأكاسيد المختلفة.. ونورد هنا بعض الأكاسيد والألوان المستخرجة منها..

١- أكسيد النحاس

يعطي اللون الأخضر، وإذا أضيفت إليه مادة الصودا فإنه يشكل اللون الأخضر الفاتح، وإذا أضيفت إليه مادة رصاصية فإن اللون الأخضر سيتحول إلى لون زمردي، وبإضافة قليل من أكسيد الحديد فإن اللون الأخضر سيتحول إلى لون أخضر فيروزي.

٢- أكسيد الكوبالت

يعطي اللون الأزرق، ومع الدهانات الرصاصية يتحول اللون الأزرق إلى لون داكن أزرق، وإذا أضفنا إليه قليلاً من أكسيد الألومين فإن اللون سيتحول إلى أزرق بروسي، وإذا أضيف إليه أكسيد الزنك فسيعطي اللون الأزرق الفاتح.

٣- أكسيد الحديد

من خواص الحديد إعطاء اللونين الأصفر الداكن والبني، وهو لا يصلح مع الدهانات القلوية، وإذا أضيفت إليه مادة المنجنيز فإنّه سيتحول إلى لون أسود، وإذا خلطناه مع اليورانيوم أعطى اللون الأصفر، أما إذا ما أحرق مع دهانات رصاصية فإنه سيتحول إلى لون أحمر برتقالي، وإذا زادت هذه النسبة أصبح الدهان الشفاف مظلماً، وذلك هو الحال الخزف في مدينتي تشكنال وموروفت من مدن الدردنيل، وتحول اللون إلى لون برتقالي داكن.

٤- أكسيد المنجنيز

ويعطينا اللون البني، وإذا أضيف إليه الكويلات والصودا أعطى اللون البنفسجي، وبإضافة الحديد إليه فإنه يعطي اللون البني المحروق واللون الأسود.

٥- أكسيد اليورانيوم

يعطينا اللون الأصفر الفاتح، وبإضافة قليل من الحديد فسيعطينا اللون الأحمر البرتقالي، ويعطينا اللون العاجي إذا خلطناه مع المواد القلوية.

٦- أكسيد الأنتيموان

يعطينا اللون الأصفر، وإذا ما أضيف إليه الزنك يعطينا لوناً أصفر فاتحاً، ويعطي مع الحديد اللون الأصفر الداكن.

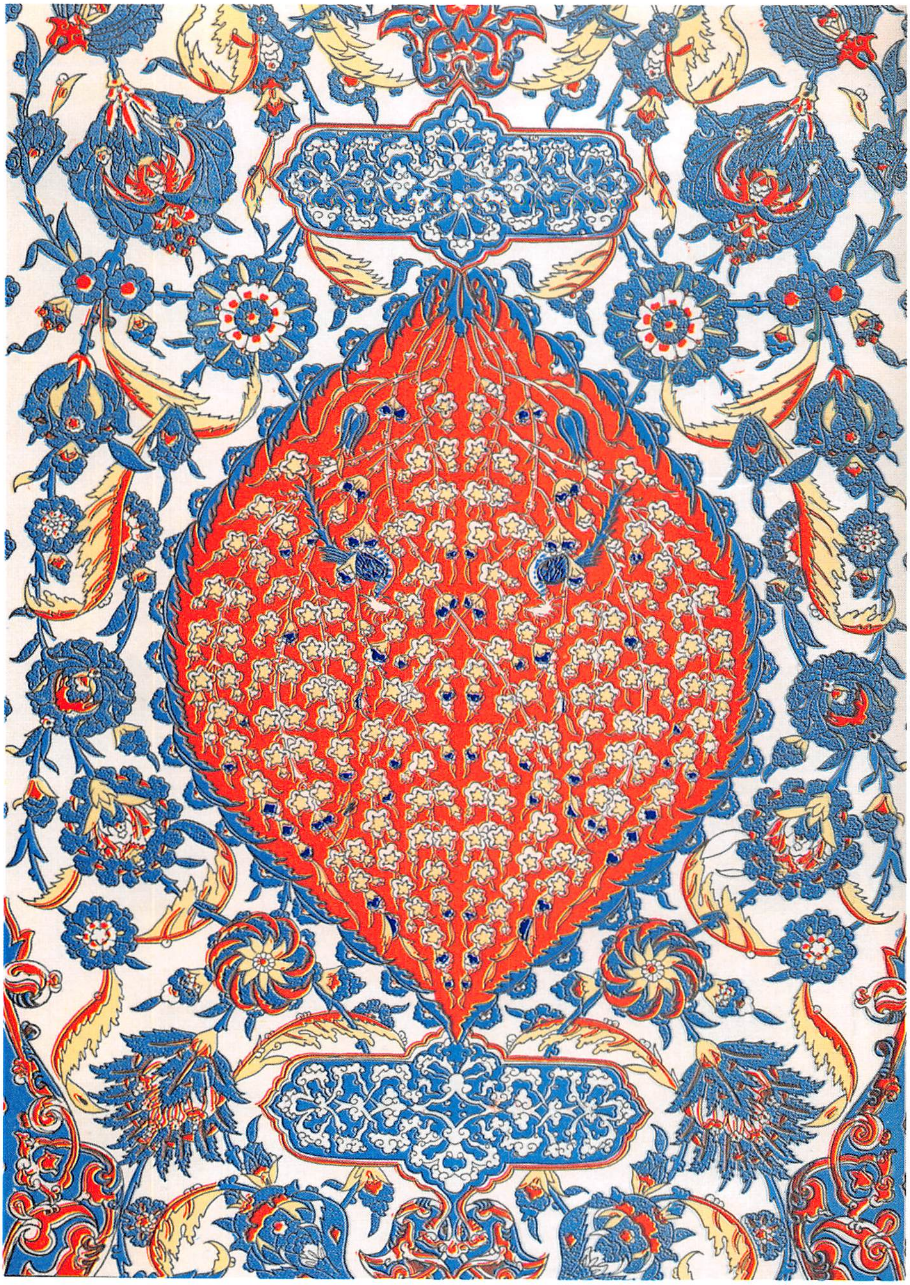
٧- أكسيد الكروم

ومن خواصه إعطاء اللون الأخضر، ومع المواد الرصاصية يعطينا اللون الأخضر المائل إلى الحمرة، وإذا أضيف إليه القصدير والجير يعطينا لوناً أحمر.

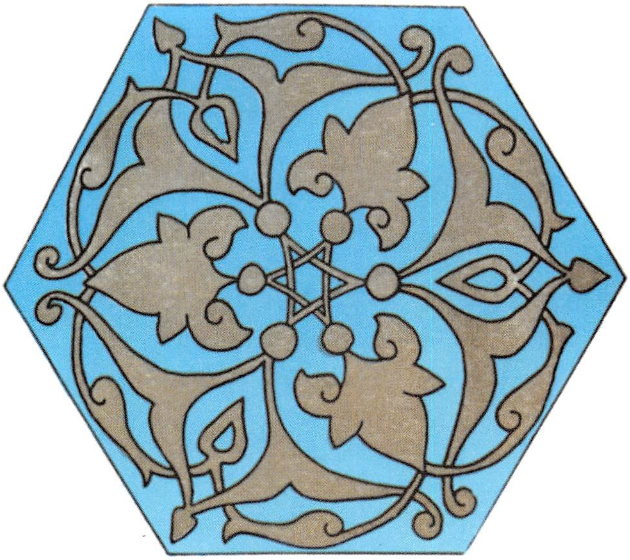
٨- أكسيد القصدير

ويعطي اللون الأبيض كما يحوّل اللون الشفاف إلى لون معتم.

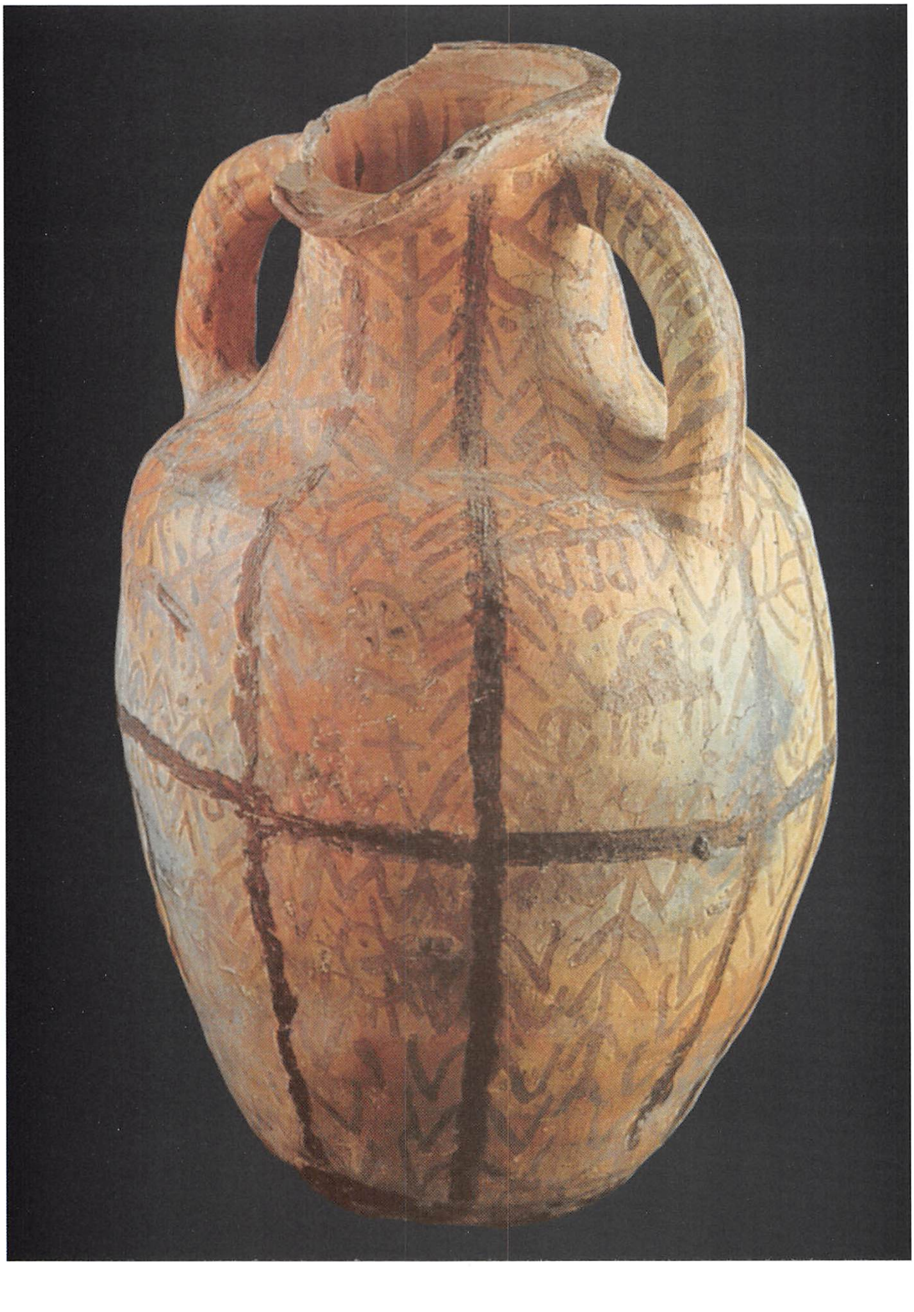


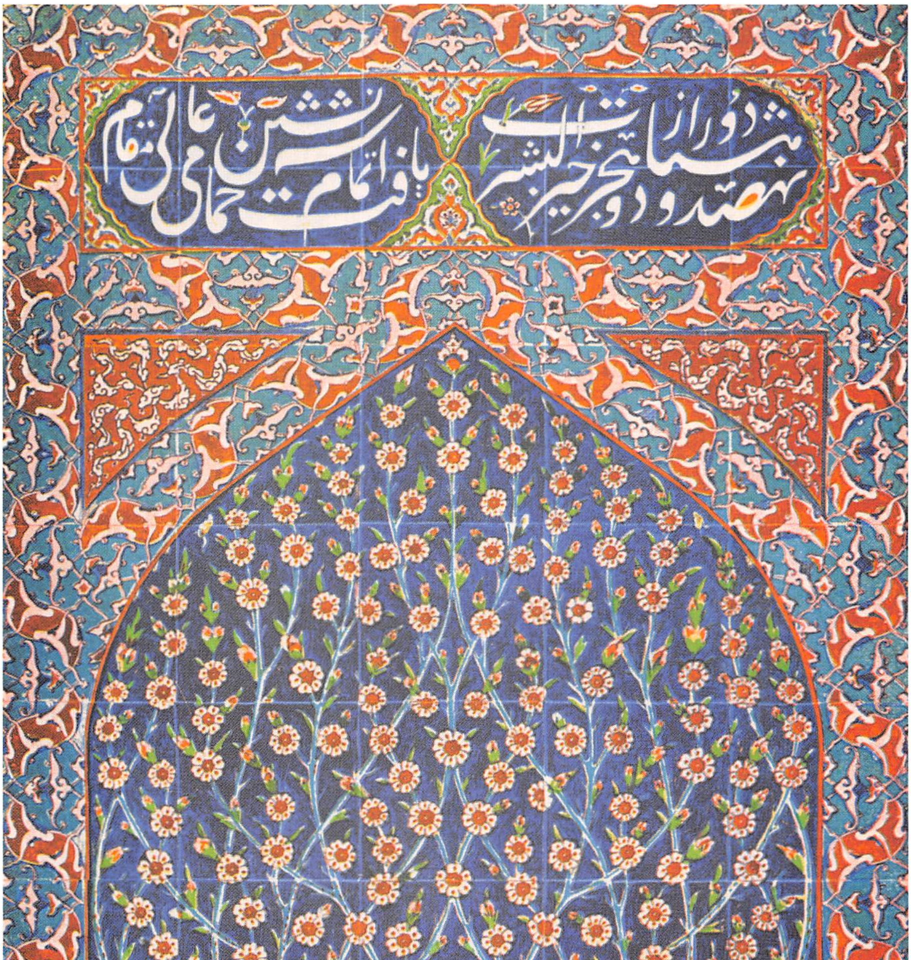




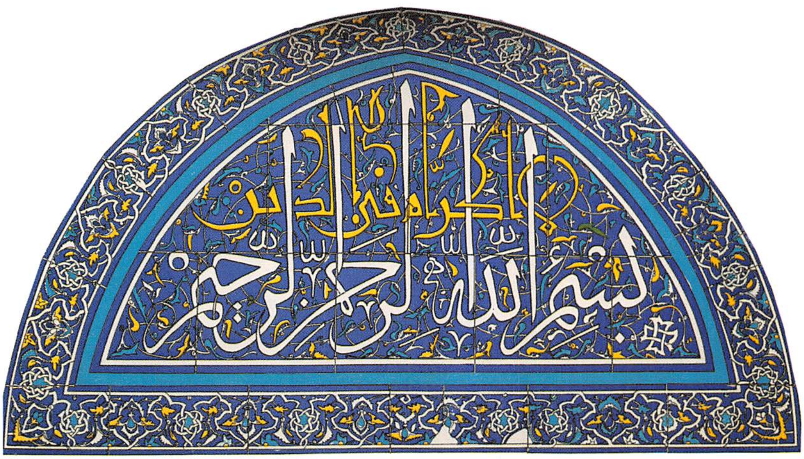


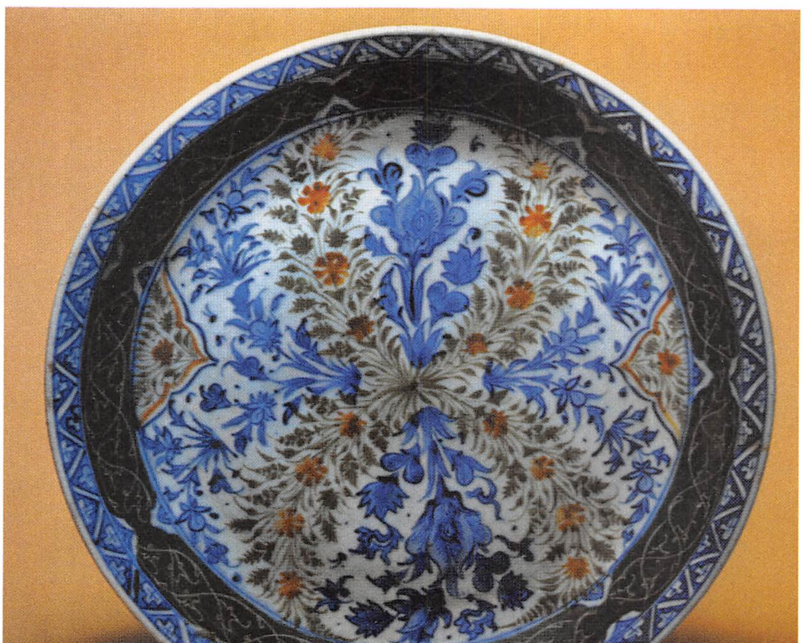




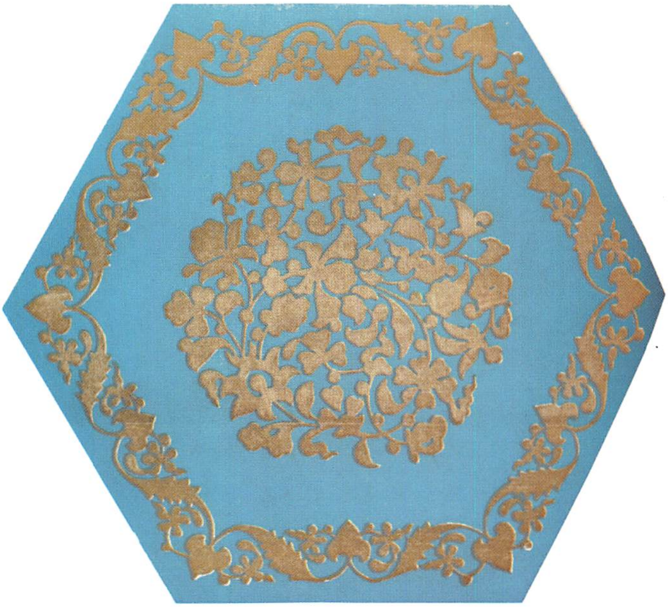




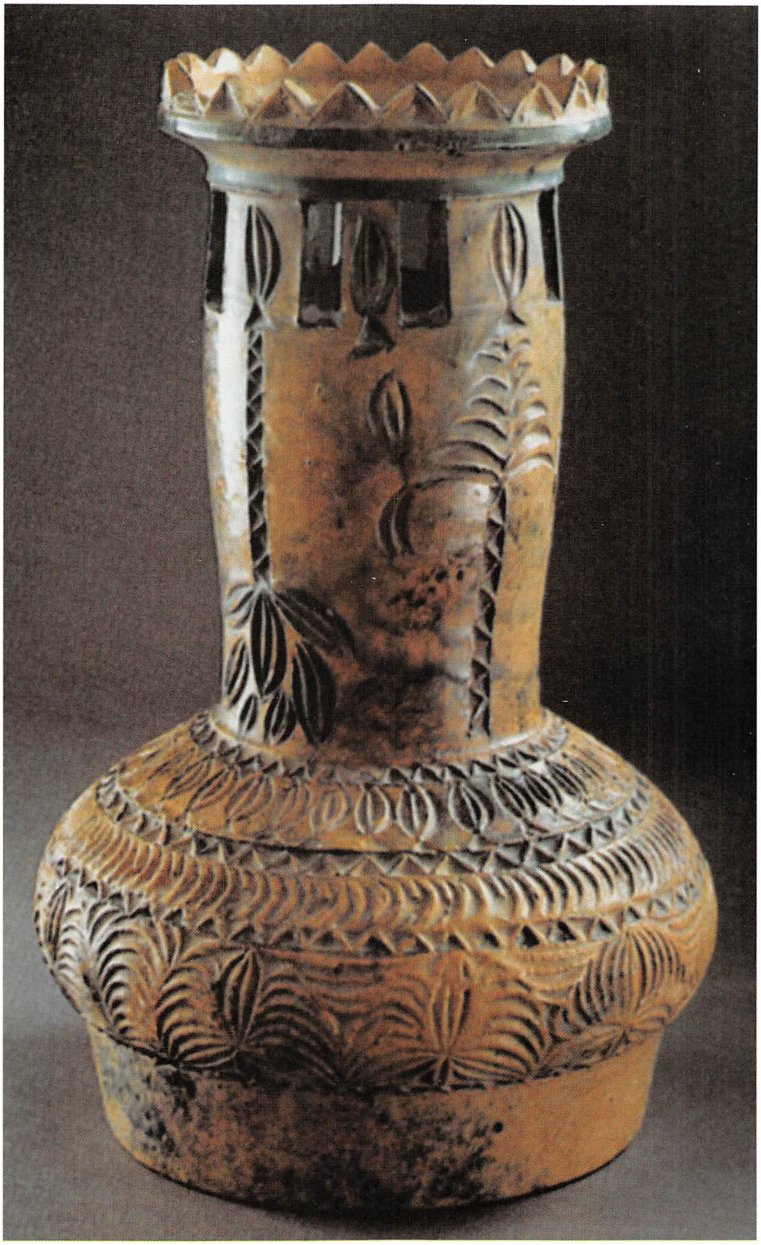

بسم الله الرحمن الرحيم





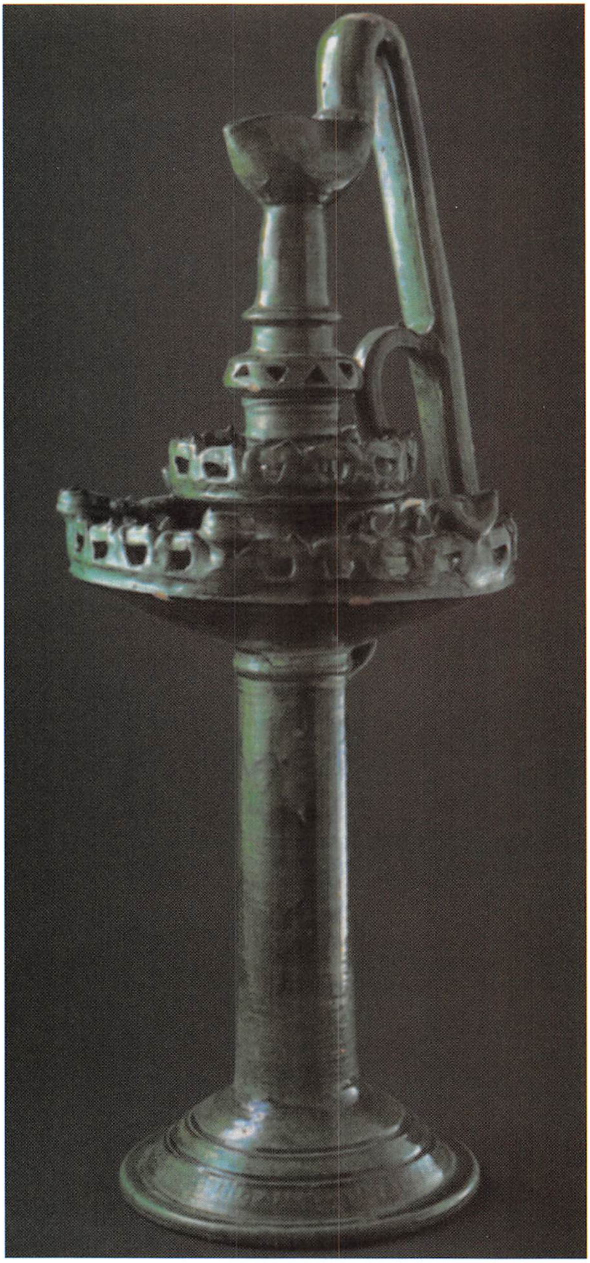








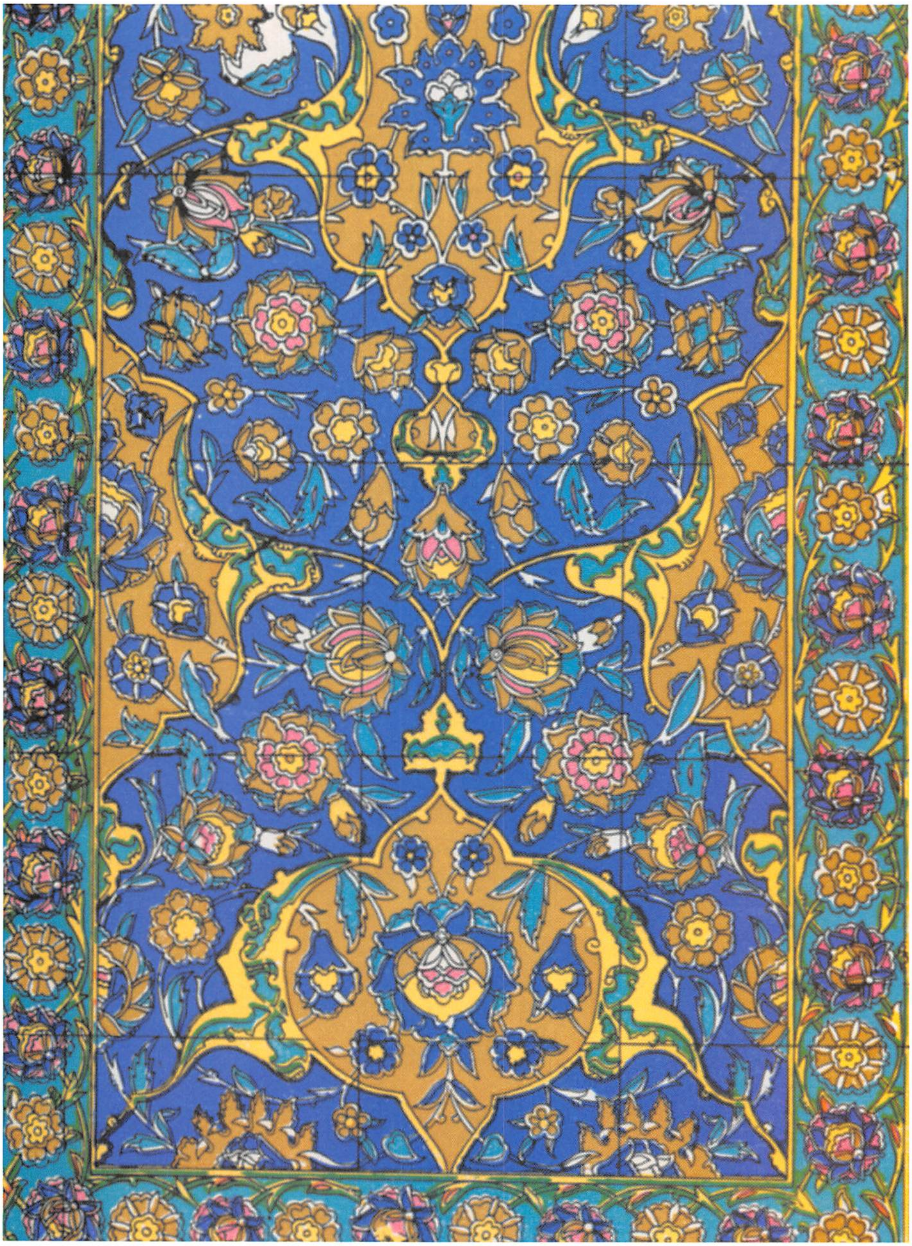


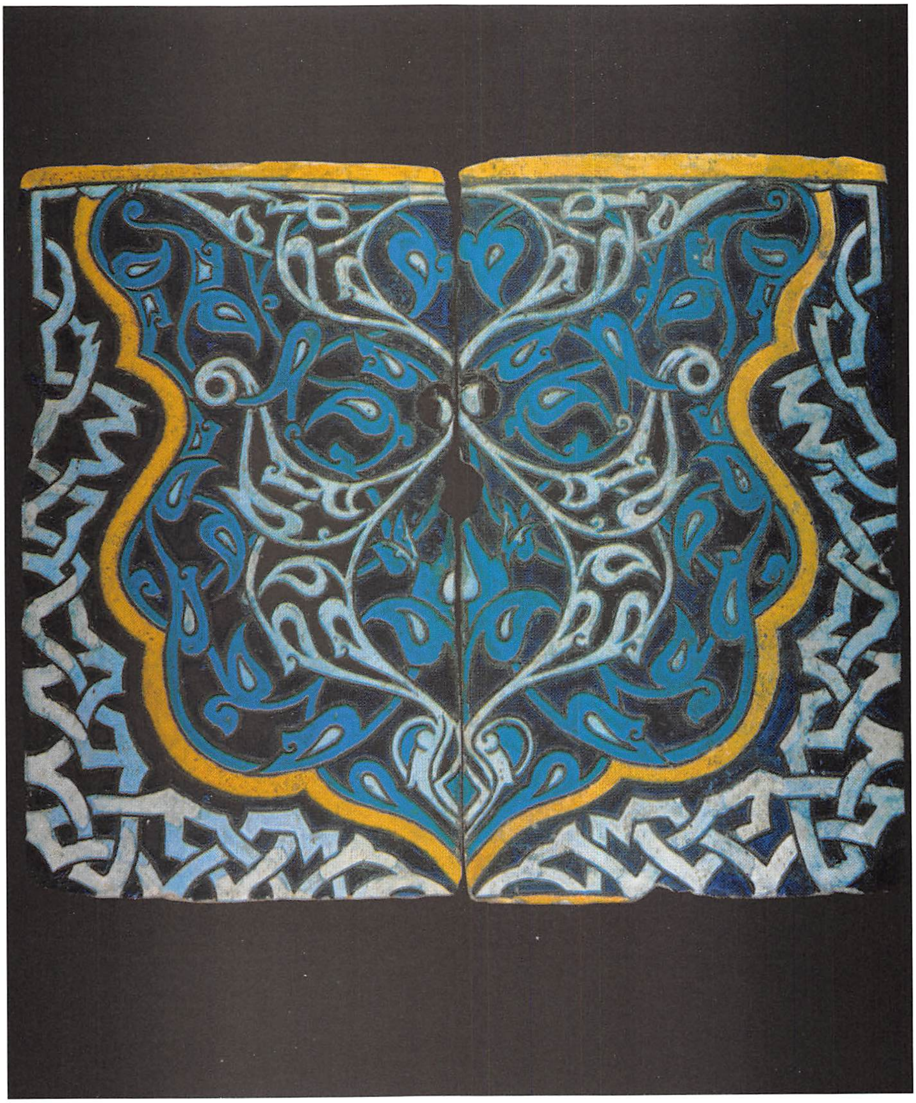






















ألواح وبلاطات القاشاني والسيراميك

مع أن الترابيع السيراميك والقاشاني يُعد من أكثر البلاطات انتشاراً في عمل موضوعات من البلاط إلا أنه يمكن إعداد البلاطة البسيطة يدوياً أو إلحاقها مع أجزاء أخرى لتشكل تغيرات واسعة في الأشكال مثل العلب واالأسطوانات والأطباق والمنقولات والحلى وأواني الزرع والأشكال المجسمة وبغض النظرعما قررت عمله فإن فهمك الشامل لهذا الأسلوب سيساعد على إخراج قطع مبنية بشكل جيد.

والبلاطات الخزف يجب إعدادها من طين على شكل وتد «إسفين» ومسامى ومائع القوام، وجعل الطين وتدياً يساعد على تناسقه ويزيل الكلاكيع والطين الممزوج بالماء يقلل الانكماش ويساعد على مقاومة التشوه كما أن المزج بالماء يجعل الطين أقل لدانة وأقوى في تدعيم نفسه.



أربع طرق لإعداد بلاطة من الخزف:

يمكن إعداد البلاطات بطرق عديدة، بالضغط واللف والطرح والشرائح، واللف ربما يكون أبسطها ولكنه ليس إلا وسيلة لسحق الطين في شكل ما ولاتشكل هذه التقنية المستخدمة ميزات تكوين المادة واستمرار اللف ينتج بلاطة بتخانة متساوية.

ويمكنك إعطاء ملمس البلاطة في نفس الوقت الذي تعدها فيه وذلك بتغطية سطح العمل بقماش خشن.

استعمل قماشاً ذا نسيج مفتوح «مثل الخيش أو الكنفاه» لمنع الطين من الالتصاق.

١- ضغط البلاطة:

أفرد كتلة الطين وذلك بخبطها بيدك «وتبطيها». رقق الكتلة المسطحة بدفعها للخارج من المركز بمؤخرة راحة اليد وتأكد من العمل من المركز إلى الحافة لضغط الطين بالتساوي.

٢- فرد الطين بالنشابة لعمل البلاطة:

قرر عرض البلاطة وضع خشبة كدليل على كلا الجانبين على الطين المفرود جزئياً وتكون المسافة بين الخشبتين هي المحدود لعرض البلاطة، وسمك الدليل الخشبي هو الذي يحدد سمك البلاط وعموماً فإن السمك العملي الجيد للبلاط هو ١/ ٤ بوصة إلى ١/ ٢ بوصة.

ضع دلائل النشابة على العصى الخشبية عند المنتصف وادفع على طول العصى دائماً من المركز للخارج حتى ينتظم شكل الطين، وتأكد من أن تكون النشابة أعرض من البلاطة وخالية من الخدوش.

وإذا وجدت أن جانبي البلاطة بها كرمشة والتي ربما يسببها عدم الفرد الكامل للقماش ورغبت في إزالتها اقلب الطين وافرد ثانية، وهذا سيمحو أي ملمس موجود.

٣- طرح الطين لتشكيل البلاطة :

هذه طريقة ممتازة للحصول على بلاطات بسماكات متساوية دون أي أدوات .

أعد قالباً من الطين غير منتظم في السمك من نحو ١ إلى ٢ بوصة كما فعلت عند ضغط البلاطة، ارفع الطين من أطرف البعيد واقلبه لأسفل على منضدة العمل تجاهك حتى يتسطح ويرق عند وصوله إلى سطح المنضدة، ولابد أن تصطدم حافة الطين أولاً والبقية سوف تنتشر وترق عند تقابلها مع المنضدة، وبعد عدة رميات ستصبح البلاطة متناسقة السمك إلا بعض الأطراف الرقيقة عند الحواف ومع قليل من المران سيصبح الأسلوب أكثر سهولة .

٤- عمل بلاطة من شرائح في الطين :

طريقة أخرى سريعة لإعداد مضاعفات من البلاطات بسمك متساو وهو قطع شرائح من الطين من كتلة طين معدة جيداً. وعلى جانبي الكتلة، ضع نفس العدد من العصى بسمك ١/ ٤ إلى ١/ ٢ بوصة وبسلك قاطع أو خيط متين اسحبه من خلال الطين على طول الدليل من العصى، ثم ارفع طبقة العصى لكل بلاطة .

- التصلب السابق للبلاطات :

بعد إعداد البلاطات تترك لتجف وتتصلب في أي مكان مدة نصف ساعة إلى ليلة كاملة ويعتمد ذلك على حالة التصلب التي تريد أن تصل إليها البلاطات وكمية الرطوبة المحددة في الجو. وإذا كانت البلاطات ستترك طوال الليل لتجف فيجب أن تغطى بإرخاء البلاستيك عليها .

والتصلب المسبق هام وبخاصة عند عمل العلب أو القطع الأخرى ذات الجوانب المستقيمة حيث أنه يجعل الطين ينكمش بعض الشيء، ويتسبب ذلك في جعل الوعاء المشكل ينكمش بدرجة أقل عند جفافه. وهو يعني أيضاً أن الجدران سيكون لديها القدرة على الوقوف متماسكة .

وكن حريصاً على ألا تجفف الطين أكثر من اللازم وإلا سيتشرخ ويفتقر إلى اللدونة اللازمة للالتحامات الجيدة، والبلاطات المعدة للمشغولات المقوسة أو للصب في قوالب ستتشرخ إذا ما شكلت وكان الطين متصلباً جداً لذلك من الأفضل تركها لتتصلب بعد تشكليها.

- إنشاء أشكال البلاطات:

بعد أن تقرر مشروعاً للتنفيذ قطّع مكوّناته، واستعمل نماذج ورقية أو طبعات للحصول على حواف مستقيمة وحوائط متماثلة وزوايا مضبوطة، ولكي تصل ما بين الوحدات اخدش الحواف التي ستلحم مع بعضها وبللها بالماء أو الطين اللزج «وفي بعض الأحوال يتم استخدامها معاً»، وإذا كانت الطينة معدة جيداً ومرنة في العمل فمن المحتمل وصل البلاطات دون استخدام الطين اللزج، وتكون هذه مجازفة إذا لم تكن متأكداً تماماً من الخامة التي تعمل بها.

ولمزيد من القوة والتماسك شكل حبلاً رفيعاً وضعه في كل وصلة وادعكه في اللحام باستخدام دفرة مسطحة، وعند العمل في قطع مستطيلة يستند الجزء الأكبر منها على القاع للحصول على دعامة قوية واللحامات تشكل مناطق للمشاكل حيث أنه عند انكماش الطين ربما تنشق الوصلات عند الأماكن التي كانت تعتبر خطوط الاتصال ولتجيب ذلك حاول تقليل عدد خطوط الاتصال وذلك بطي البلاطة بدلاً من وصلها مع أخرى وعاين مدى ارتباط مكونات القطعة عند جفافها.

ضع قطعة طويلة مشكلة من الطين عند جفافها فوق رف «شبكة من السلك أو عدة عصي» وغطها بالبلاستيك لمساواة معدلات الجفاف للأجزاء العليا والسفلى.

وحشو الأشكال المجوفة بالجرائد يساعد على امتصاص الرطوبة من الداخل ويساعد على الجفاف المتعادل للوعاء ولابد أن تؤجل استعمال الرف حتى تجف القاعدة بالدرجة التي لاتجعلها نتفسد من تأثير الرف.

ملحوظة :

تتطلب بلاطات السيراميك التجفيف بعناية ، وإذا استعملت نوعاً من الطين ناعم الحبيبات افتح بعض التجويفات الغير عميقة على ظهر البلاطة للسماح للهواء كي يتخلل الطين حيث أن البلاطات الخزفية تميل إلى التجعد إذا جفت بصورة غير متعادلة .

ضع البلاطات بين قرصين من الجبس المسطح ، أو طبقات من ورق الجرائد أو البلاستيك لتجف ، وعندما تصل البلاطة إلى درجة مثل الجلد الصلب ارفعها على رف حتى تمام الجفاف ، مع تدويرها مراراً وتكراراً لتعريضها بانتظام للهواء من جميع أجزائها .

وعندما تتصلب أجزاء البلاطات بعض الشيء أو يصبح ملمسها مثل الجلد الجاف يمكن تطبيق ملمس عليها . ويمكن عمل ملمس للبلاطة قبل قطعها إلى أشكال حسب ما يتطلب التصميم طالما أن التصميم لايتلف إذا ما أمسك الطين باليد .

وعلى وجه الخصوص فإن الزخرفة على البلاطات تكون بصورة جيدة نظراً لسطحها المستوى .

والألواح السيراميك القاشاني لايجب أن تكون دائماً بالضرورة مربعة الشكل ، فهناك أمثلة من الفن الفارسي الإسلامي توضح مدى الأشكال الهندسية المعقدة التي كانت تصنع من القاشاني المسطح بشكل يعجز الفرد عن تصوره ومدى الحسابات الدقيقة التي كان يجريها الحرفيون الفنيون في هذه الصناعة ويمكنك بهذه الطريقة عمل لوحة من ترابيع مفردة على شكل كل مبنى أو موضوع .

وعندما تتجلد البلاطات تقطع الأشكال بحرص حتى لاتتلف ، والعرض الأقصى للبلاطة المفردة بطول شبر من يدك . وحيث أن الطين يتكدس على وجه البلاطة فإن كمية مماثلة يجب أن تفرّغ من الظهر هذا لأن جميع أجزاء السيراميك لابد أن تكون بنفس السمك لضمان الحرق المنتظم المتماثل لجميع الأجزاء .



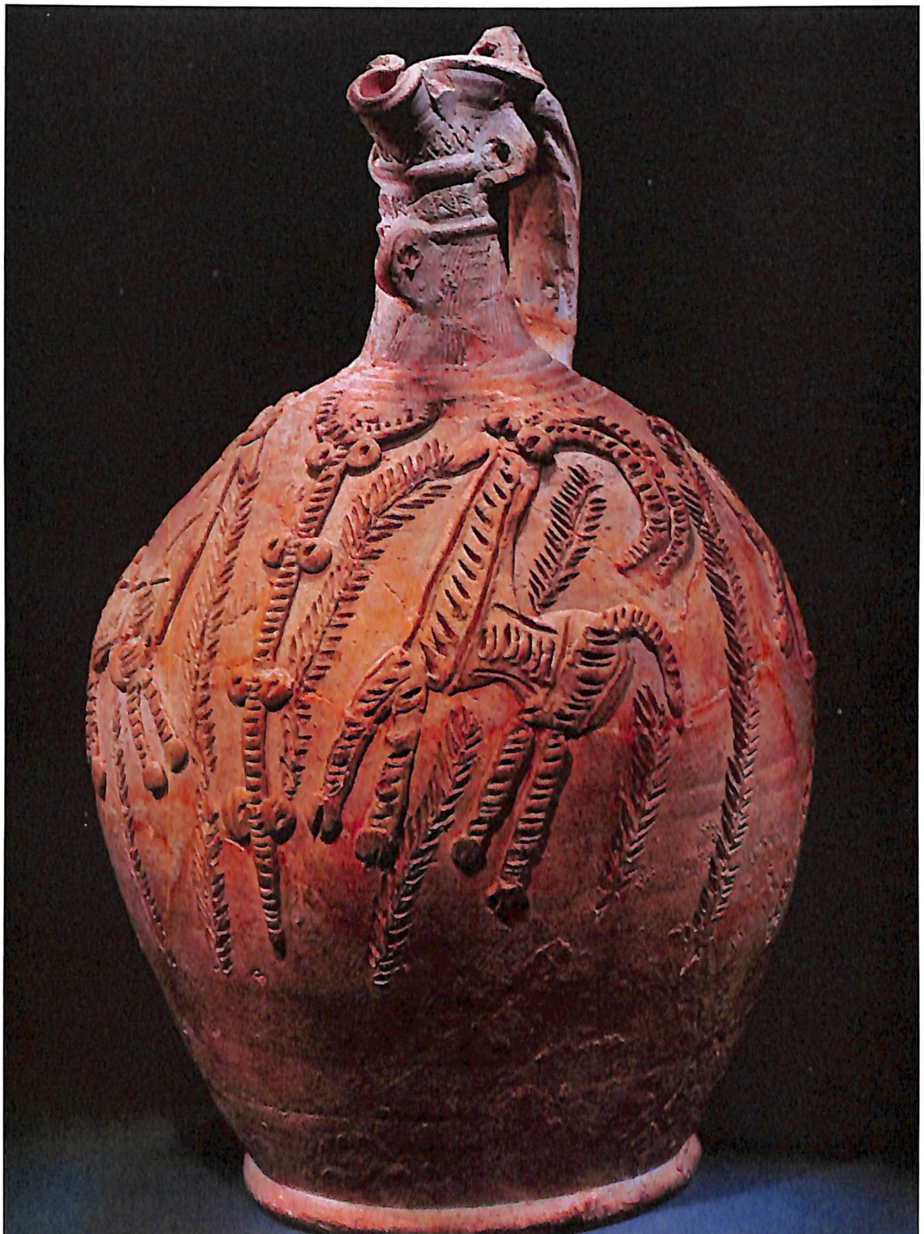












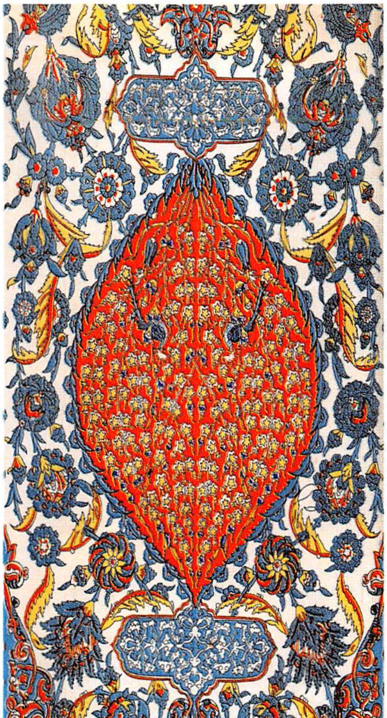


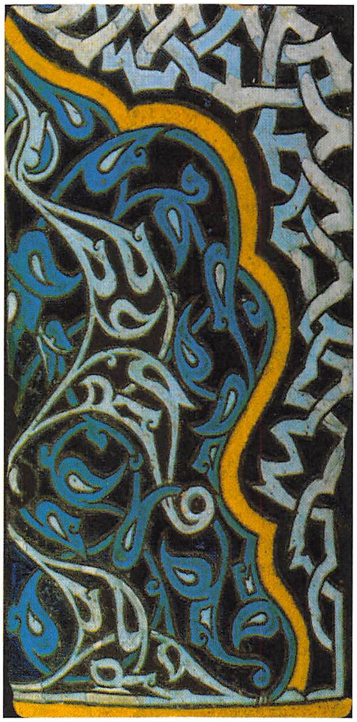


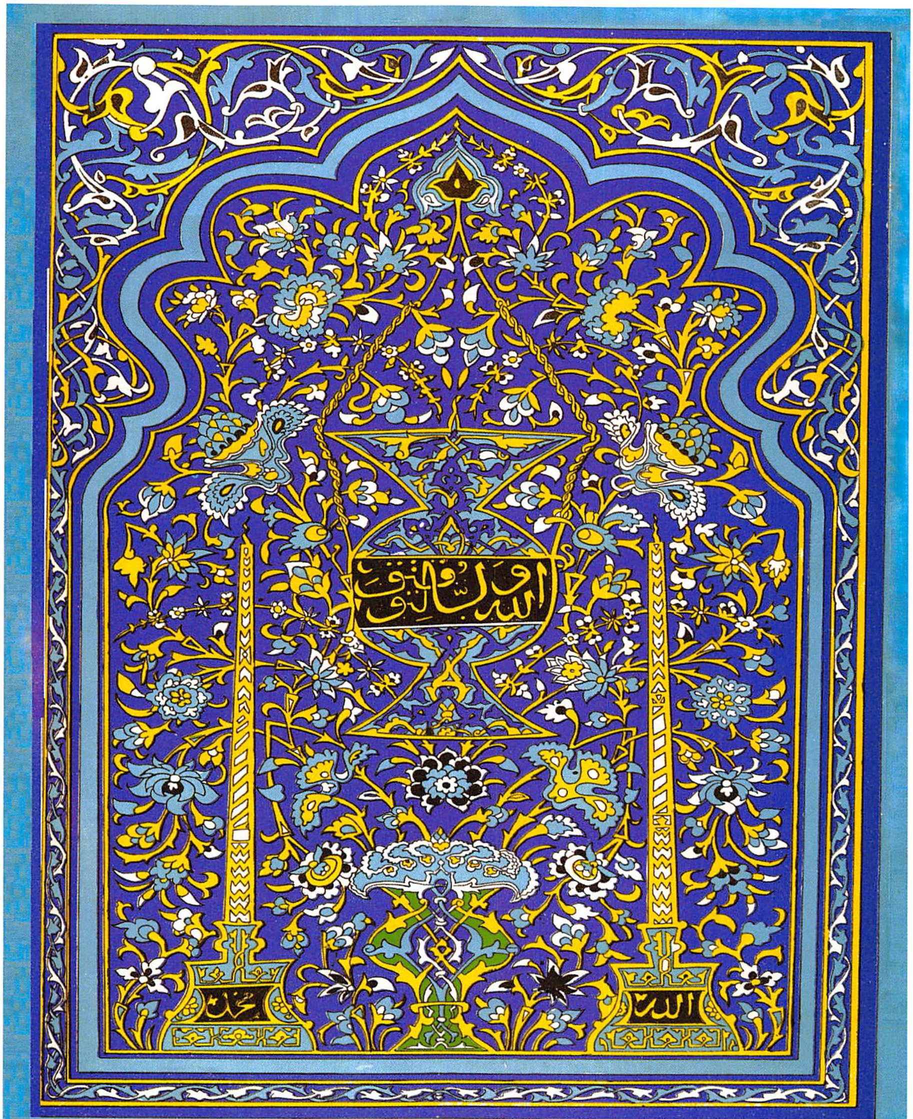




أجمل نماذج القاشاني التاريخية في الأوابد

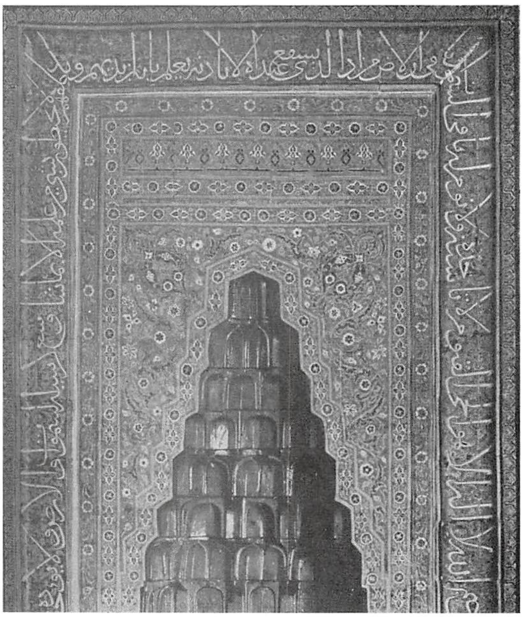




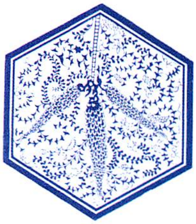


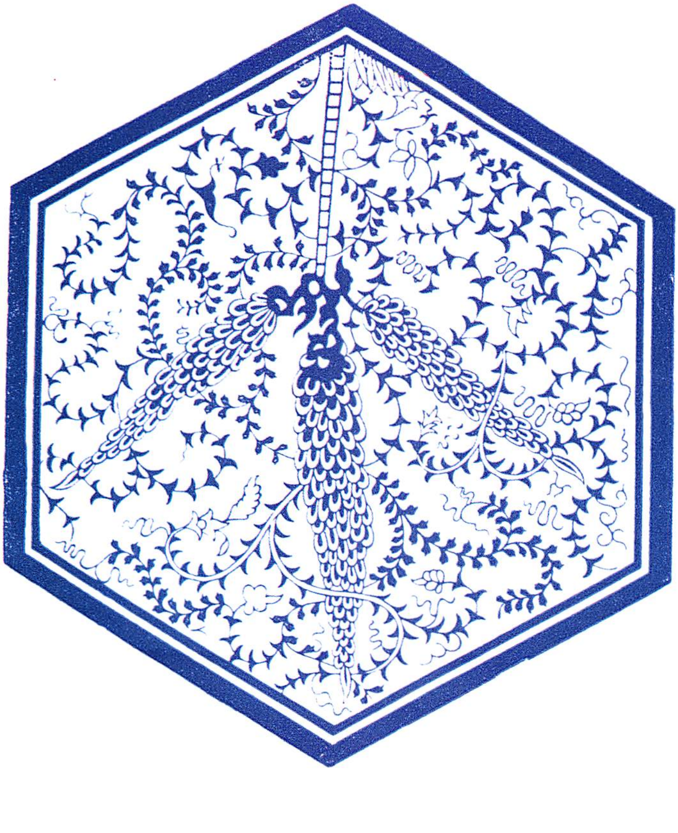
القاشاني في الجامع الكبير في بورصة ونلاحظ تجانس اللون الأصفر مع الأزرق الكحلي في تناغم تام ١٤٢١ م



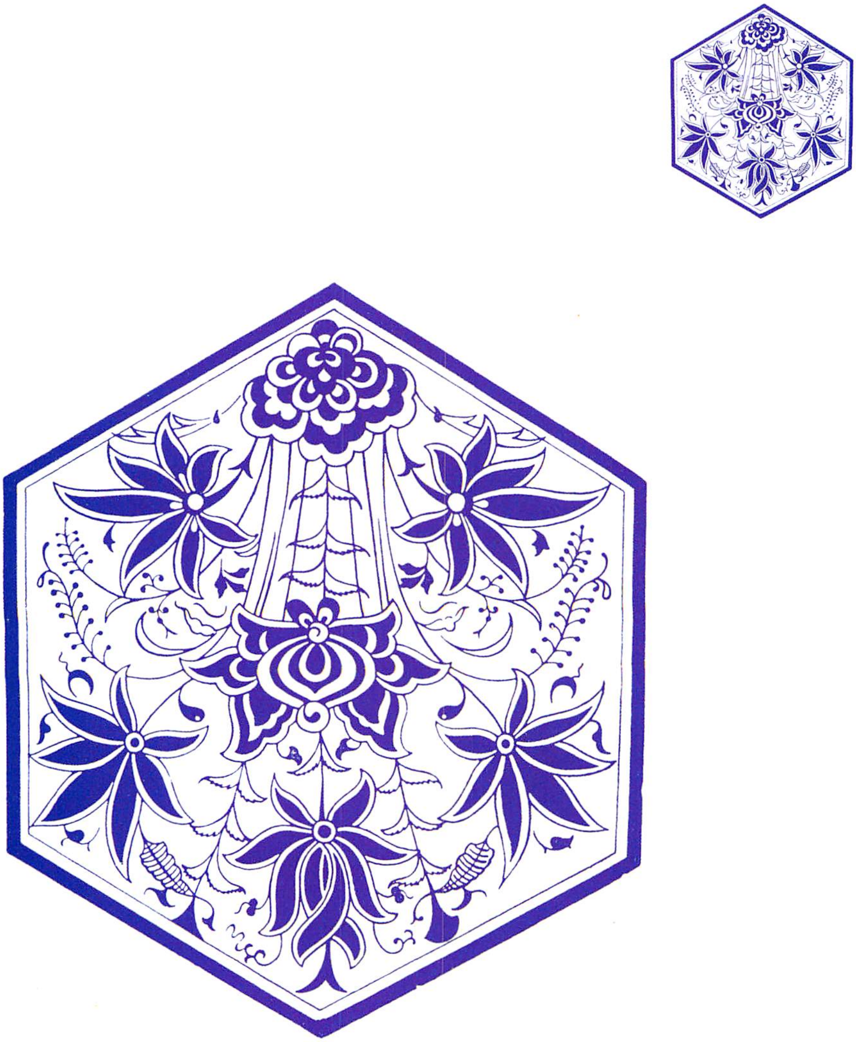


جامع مراد باشا (بورصة) نموذج من نافذة وقد تجانس فيه الأزرق مع القرميدي (١٤٢٦ م) .



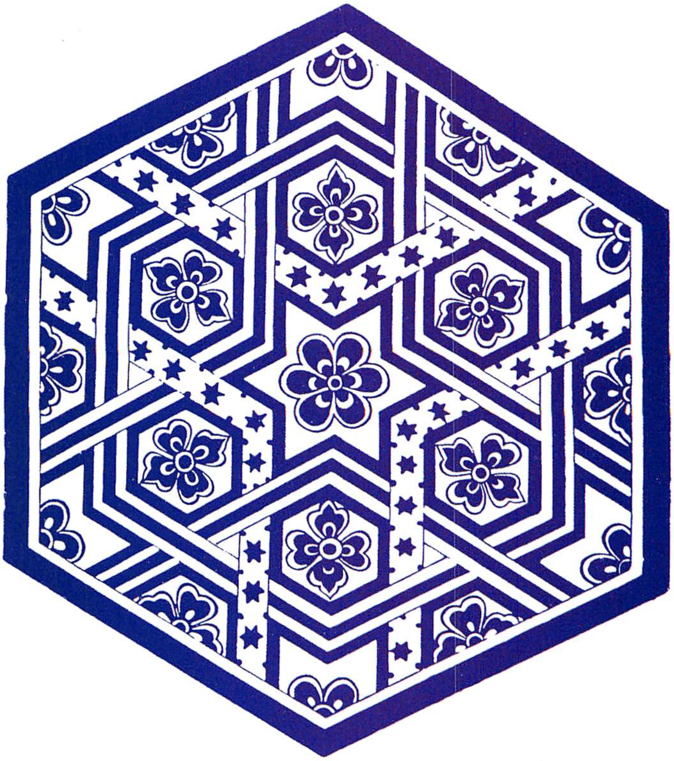


بلاطات من القاشاني من جامع مراد باشا في أدرنة ١٤٣٣ م .



بلاطات من القاشاني من جامع مراد باشا في أدرنة ١٤٣٣ م .



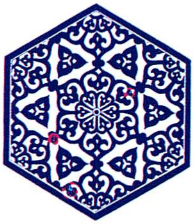


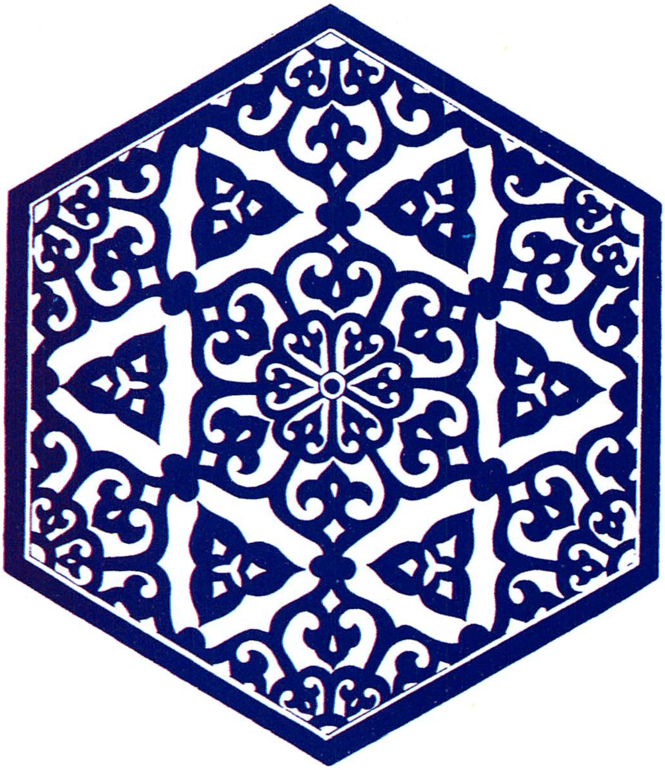
بلاطات من القاشاني من جامع مراد باشا في أدرنة ١٤٣٣ م .



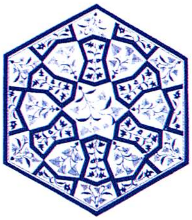


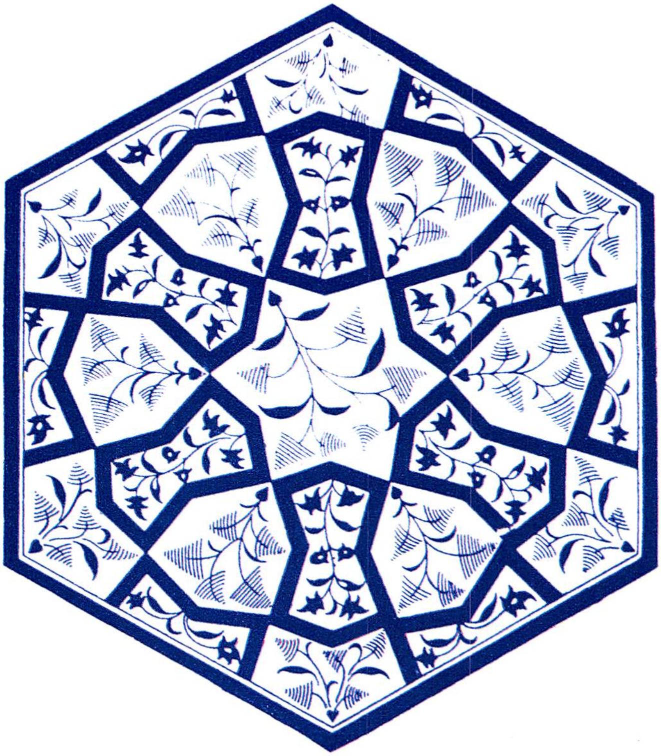
بلاطات من القاشاني من جامع مراد باشا في أدرنة ١٤٣٣ م .





بلاطات من القاشاني من جامع مراد باشا في أدرنة ١٤٣٣ م .





بلاطات من القاشاني من جامع مراد باشا في أدرنة ١٤٣٣ م .

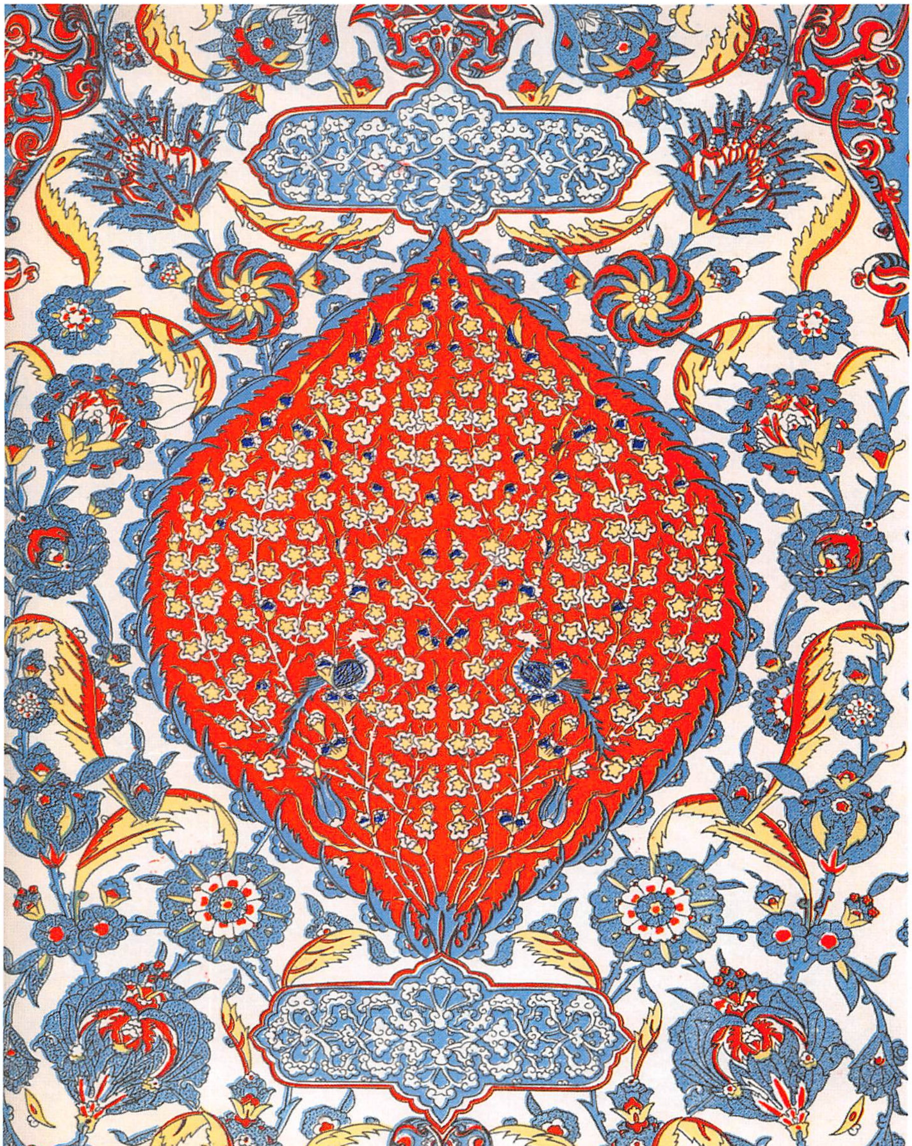


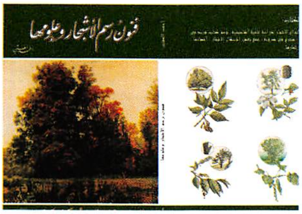
جامع الفاتح في بورصة ١٤٧٠ ونلاحظ نموذج وفيه تجانس الأزرق الفيروزي مع الكحلي والقرميدي .

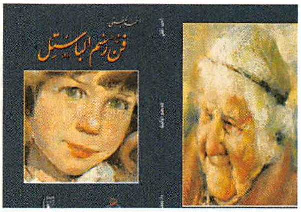


حشوة من القاشاني الرائع من جامع السلطان سليم (١٥٢٢م) في استنبول.

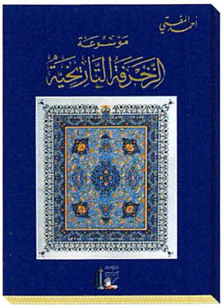


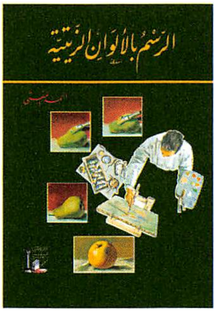



فنون رسم الأشجار وعلومها


فن رسم الباستيل




أحمد المفتي
موسوعة
الزخرفة التاريخية


الرسم بالألوان الزيتية

المحتوى





